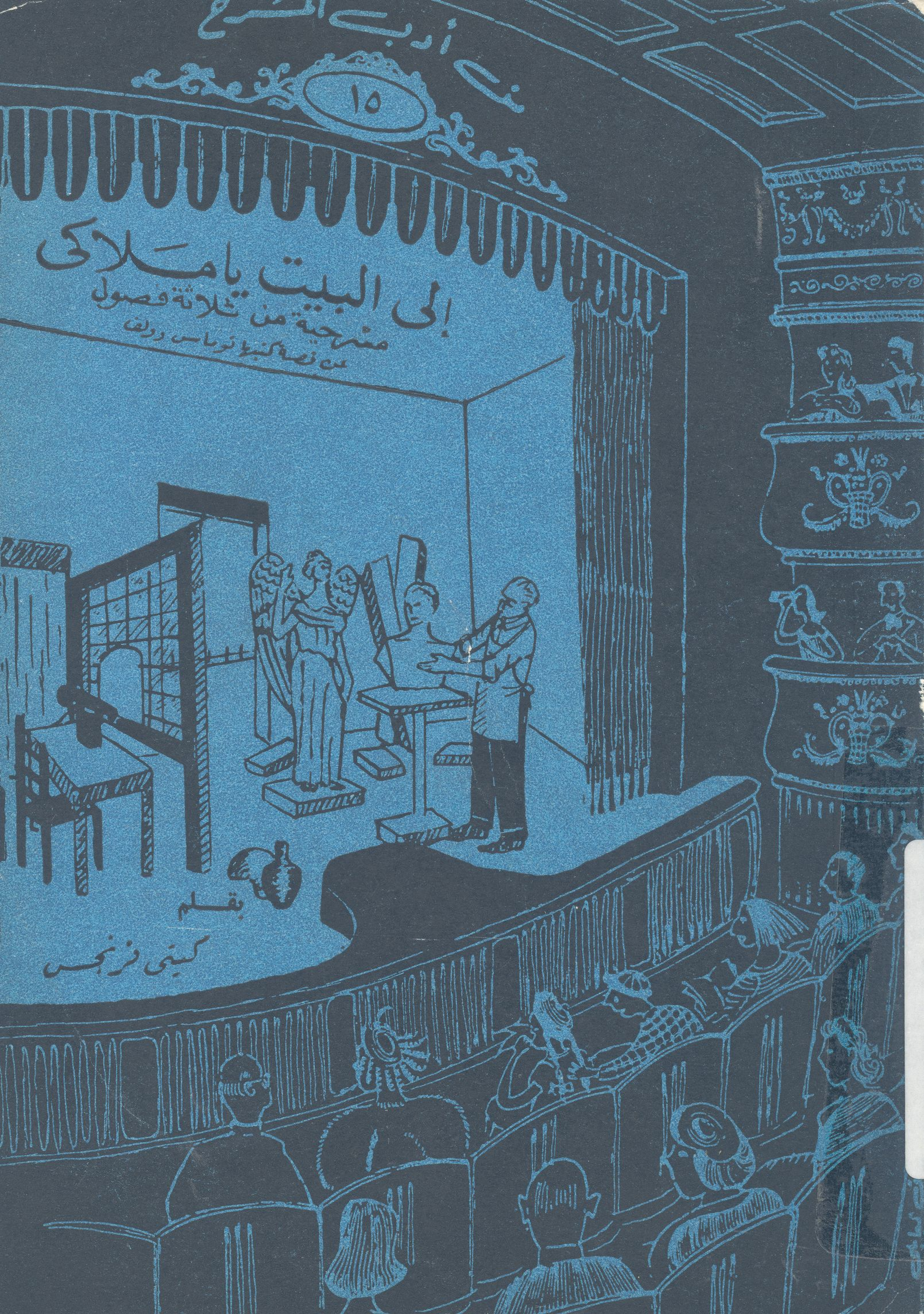


من أدب المسرح
١٥
إلى البيت يا ملاكى
مسرحية من ثلاثة فصول
عن قصة كتبها توماس وولف
بقلم
كيتى فرنجس

من أدب المسرح «١٥»

إلى البيت يا ملاكي

نشر هـــذا الكتاب بالاشتراك
مع
مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر
القاهرة ــ نيويورك
يناير ١٩٦٢

إلى البيت يا ملاكي

مسرحية من ثلاثة فصول
عن قصة كتبها توماس وولف

تأليف

كيتي فرينجز

ترجمة	مراجعة وتقديم
حلمي جورجي	زكي طليمات

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد بك فريد (عماد الدين سابقا)

المشتركون فى هذا الكتاب

المؤلفة :

كيتى فرينجز : كاتبة متعددة المواهب أحرزت نجاحا فى كتابتها القصصية والسينمائية ، فضلا عما بلغته مسرحيتها « الى البيت يا ملاكى » من انتصار ساحق على مسارح برودواى .

ولدت كيتى فرينجز فى مدينة « كولمبوس » بولاية « أوهايو » . وراحت ــ منذ نعومة أظفارها ــ تنتقل مع أبيها فى انحاء الولايات المتحدة ، فما لبثت أن الفت المشاهد المختلفة التى أثارت توماس وولف مؤلف هذه القصة . وكانت قصتها الأولى هى « لا تدع الفجر يبزغ » التى تحولت الى قصة سينمائية ناجحة . وقد واصلت كتابة عدد من القصص القصيرة نشرت فى أمهات المجلات ، كما كتبت قصة أخرى هى « ساحة الله الأمامية » .

وكانت أول مسرحية كتبتها مس فرينجز هى « مستر سيكامور » التى أخرجتها رابطة الممثلين فى برودواى . وكتبت للسينما قصتى : « عد يا شيبا الصغير » و « الطائر السفاك » .

المترجم :

حلمى جورجى : من مواليد القاهرة عام ١٩٢٢ . تخرج فى كلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٤٦ . ثم حصل على درجة الماجستير من معهد التحرير والصحافة والترجمة عام ١٩٥٤ . ويعمل الآن مدرسا أول للغة الانجليزية بالمدارس الثانوية ، ويقوم بتدريس مادة الترجمة بمعاهد السكرتارية .

المراجع ــ وصاحب المقدمة :

الأستاذ زكى طليمات : أول مبعوث رسمى لدراسة فنون المسرح بالخارج وهو العميد المؤسس للمعهد العالى لفن التمثيل العربى وقد عمل ممثلا ومخرجا ومديرا فنيا ومديرا عاما (للفرقة القومية) و (فرقة المسرح المصرى الحديث) ومراقبا (للمسرح المدرسى) وهو الآن يتولى الأخراج فى فرقة (المسرح الغنائى) .

أضواء المسرحية

بحث وتقديم

للأستاذ زكى طليمات

- × من تاريخ المسرح .
- × من المسرح الأمريكى .
- × الجيل الضائع .
- × متحف لنماذج بشرية .
- × المجتمع والمأساة .
- × الغام تتفجر .
- × من عالم الغرائز .
- × من الكبت الجنسى .
- × الصراع سبيل التطور .
- × لون من الحب .
- × تفاؤل ــ واعتدال ــ وعطف .
- × من الرمزية .

مقدمة

بقلم الأستاذ زكى طليمات

فيما أورده غيرى للتعريف (بتوماس وولف) ثم (بمسزكيتى فرينجز) ـ وقد تضمنه هذا الكتاب ـ غناء من الاستزادة من جانبى ... الأول بوصفه صاحب الموضوع وقد عالجه معالجة قصصية ، والاخرى هى من أجرت تطويع القصة للصياغة المسرحية ٠

وليس أمرا مستغربا أن تقوم ظاهرة فى التأليف المسرحى على هذا الوجه ، اذ أن لها أمثالا ونظائر منذ قديم الزمن ، منذ أن أخذ الرواد الاول فى كتابة المسرحية من قدماء اليونان ينقلون موضوعات أكثر مسرحياتهم من القصص الذى أورده الشاعر (هوميروس) فى الياذته ، أو هم يقتبسون منها ، ومازال هذا الأمر قائما حتى الآن فى المسرح الأوروبى والأمريكى ، وفى مسرحنا العربى المعاصر ، فكم من مسرحية شائقة لها أصل قصصى منشور .

والعبرة والحذق فى اقتباس موضوع من قصة قائمة ، ثم تطويعه للصياغة المسرحية ، ألا ينحرف المقتبس الصائغ عن أصل القصة، وذلك فى جوهر مضمونها وفى أهدافها ، وألا يزيغ فى رسم شخوص المسرحية عن تتبع الخطوط الرئيسية التى أجراها مؤلف القصة فى تقويم هذه الشخوص تقويما نفسيا .

ويبدو أن (مسزكيتى فرينجز) قد وفقت توفيقا بعيدا فى صياغتها المسرحية لقصة (توماس وولف) بدليل نجاح المسرحية فى دور التمثيل ، ثم اجماع النقاد على اطراء هذه المحاولة ...

وفى الحق أن القارىء لهذه المسرحية ، مهما أخذ بأسباب مراجعة

شرائط كتابة المسرحية ومقوماتها ، فلن يتعثر بشيء من هنات أو مواطن ضعف ، بل هو لا يكاد يحس بأن لهذه المسرحية أصلا قصصيا .

وبهذا فنحن أمام مسرحية جيدة السبك ، تتتابع فيها المشاهد من غير افتعال أو مبالغة ، تارة فى يسر وهدوء ، وتارة أخرى فى عسر وصخب ، شأن الحياة نفسها وهى تدور بين الأطراف المتقابلة .

وأهم من هذا ، أن شخوص المسرحية لا يفتعلون الحوادث ، ولكن ماجريات الحياة هى التى تفرضها ، وبهذا تخلو هذه المسرحية من المؤثرات والمشوقات المجتلبة التى يتأنق فى افتعالها صغار كتاب المسرحية ابتغاء أن يجذبوا انتباه الجمهور ويثيروا حماسته .

من تاريخ المسرح :

وقد يبدو للقارىء فى أول الأمر أن هذه المسرحية لاتتحدث عن شيء ، أو هى مسرحية بلا حادثة ، نظرا الى ما أشرت اليه ، ولكن سرعان ما تطالعه المشوقات أثر المشوقات ، وهى تتفجر من نبض الحوار بالمعانى ، وقدرته على التصوير . وسرعان ما تهزه المفاجأة تلو المفاجأة ، لا من غرابة الحوادث وتعقدها ــ فمسرحيتنا ليست لهذا ــ ولكن من غرابة سلوك أشخاص المسرحية ومما يصطرع فيهم من مشاعر تهزهم هزا عنيفا ، فاذا القارىء مشدود الى تمعن قراءة المسرحية بعد أن يستيقن بأنه أمام عمل مسرحى يختلف كل الاختلاف فى صياغته عما ألفه جمهور مسارحنا فى الأكثرية الشاملة مما تقدمه.

وهذا حق ، فان مسرحنا العربى الناشىء ــ وذلك فى مفهومه لدى الكتاب والجمهور ــ قد تأثر فى مراحله الأولى ، بالردىء من المسرح اللاتينى ، ولا سيما ما جاء منه فى أواسط القرن الماضى ، وأوائل القرن الحاضر ، على أقلام (سكريب) و (ساردو) و (فيدو) ومن سبقهم أو نحا نحوهم بعد ذلك من كتاب المسرحيات الميلودرام والفودفيل ، وكلهم كتاب يعلون الحبكة المسرحية بمواقفها ومشوقاتها المؤثرة ، على منطق الحياة فى جريانها ، وعلى طبيعة القلب البشرى فى انبثاق أحاسيسه ، وفى تطورها ، وفى اصطراعها .

والمتقصى مدارج المسرح الأمريكى ، الذى تنتمى اليه هـــذه المسرحية ، يعرف أن هذا المسرح تخلص من كل هذا منفضة عنه فى أكثر نتاجه ولا سيما بعد الحرب العالمية الأولى ، اذ خلص له اتجاه واقعى ثم طبيعى فى التأليف ، وأصبحت لغة الحوار قريبة كل القرب من اللغـة الدارجة التى يتبادلها الناس فى حيـــاتهم ، ثم قام (يوچين أونيل) و (تنيسى وليامز) و (أرثر ميللر) يتحفون التراث المسرحى العالمى بنفائس من المسرحيات ترسم جميع الاتجاهات الأدبية من تعبيرية ورمزية .

الجيل الضائع :

وقبل أن نتناول ما فى هذه المسرحية ، يجدر بنـا أن نلقى ضوءا على الفترة الزمنية التى كان يعيشها الأب الشرعى لهذه المسرحية القصاص (توماس وولف) .

كان ذلك فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وهى فترة زمنية اتسم مجتمعها بالقلق والحيرة والشكوى وتسوده نزعة الى التكيف بالروح الصـــاعد التى تمخضت عنه تلك الحـرب ، وجوهره الحق فى تقرير المصير بالتخلص من رواسب الماضى ، مجتمع يعيش بين السخرية والألم .وتحز فى ناسه سلبية تنتفض تحاول أن تصـير ايجابية فعالة . . . كل هذا بتأثير ما خلفته تلك الحرب من تغير فى الأوضاع الاجتماعية ، وتبدل فى القيم الأخلاقية ، وما جرته من محن وخلفته من ضياع .

هذا الجيل أطلقوا عليه اسم (الجيل الضائع) (١) لضياع أكثر

---

(١) ترجع هذه التســـمية الى الكاتبة الأمريكية جرتروود اشتاين التى عاشت ردحا طويلا من الزمن بأوروبا ، وكان لها تأثير فى القصـــاص المعروف همنجواى . ثم قامت تســـمية أخرى لجيل ما بعد الحرب العالمية الأخيرة وهى (الجيل الغاضب) . . . واليوم تغير هذه التسمية من لبوسها ، فاذا هى (الجيل الساخط) ويتزعم التعبير عنه من الادباء ، الكـاتب الانجليزى (چون أســبورن) وكل هذه مسميات تعبر عن حالات نفسية جماعية تسود بتأثير الأحداث الكبرى والهزات الاجتماعية العنيفة .

الناس فيه بين ما هم عليه ، وبين ما يرغبون فى أن يكونوا عليه وقد انبثقت فيهم حوافز جديدة . فالقصة تحمل طابع ذلك العصر ، اذ ما من ظاهرة فى الأدب والفن الآ وتحمل دائما طابع عصرها ... فلا أدب ولا فن الا من الناس ومن بيئاتهم ... فى تفكيرهم الواعى ، وفيما يهمس فى اللاوعى من نفوسهم .

وهناك شىء آخر جدير بالتنويه فيما نحن بصدده ، فقد ورد فى مقدمة المسرحية فى غير هذا المكان ، اشارة صريحة الى أن (توماس وولف) كان يكابد بدوره القلق والضياع فى مراهقته وشـبابه الباكر .. وأن (مسز كيتى فرينجز) جعلت للأحداث التى وقعت للمؤلف (وولف) نفسه فى حياته،انعكاسا فى صورة (يوچين جانت) أحد أبطال هذه المسرحية ، وذلك فى الفصل الأخير منها ..

وعليه فالمسرحية التى بين أيدينا تعتبر نموذجا فى التعبير ، لا عن حياة العصر الذى كتبت فيه فحسب ، بل هى تتجاوزه الى نواح من حياة الكاتب نفسه .

متحف لنماذج بشرية :

والآن ماذا فى المسرحية ؟

نحن فى بلدة (ألتمونت) باحدى المقاطعـات الأمريكية ، وفى عام ١٩١٦ والحرب العالمية الأولى تنحدر نحو النهاية ، وفى نزل (ديكسيلاند) وهو فندق صغير للسكنى والأكل يسكنه أصحابه الى جانب نزلائه .. وتكاد تقوم مشابهة بين ساكنيه وبين ما عليه النزل فى بنائه .. بحجـراته الخمس عشرة المختلفة الاحجـــام ، بنوافذه القلقة التى تعبث بها الرياح ، فلا هى تسكن ، ولا النوافذ تنغلق أو تنقلع فتستريح ... وللبناء لون حائل حائر ، أعياه البحث عن لون صريح ينتسب اليه .. اطار جدير بساكنيه ... ولا شك!!

وأصحاب النزل أسرة تتألف من الأم (الزا جانت) ومن الأب (جانت) ، وابنة لهما تدعى (هيلين) تجر فى ذيلها زوجا اســمه

(هيو) ، ثم من الابنين (بن) و (يوچين) ، والأخير فى السابعة عشرة، فهو أصغر الاسرة !

و (الزاجانت) الام هى التى تدير النزل وتدير شئون الاسرة ، تكد منذ الصباح الباكر حتى يحتويها الفراش فى الليل .. وتنهى وتأمر .. فلا حدّ لحيويتها ، ولا حدّ أيضا لتأنقها فى جمع المال .. فهى تفضل أن تحتفظ بالنقود من أوراق النقد المالية من فئة الدولار ، لأن فى هذا ما يشعرها بأن النقود أكثر عددا مما هى عليه من قيمة ، وهكذا تحولت الى سيدة أعمال ، وليس لها شغف الا جمع المال واستثماره ، فتجردت ، أو كادت ، مما تكون عليه أم وزوجة من ايثار ورقة ، بل هى حب الذات بعينه ، فاذا هى تنزل ألوانا من الايلام بمن يحيطونها وهى لا تدرى ، بل هى تحسب بما تأتيه أنها تنزل الأمور منازلها الصحيحة .. انها تشقى وتتألم فلماذا لا يشقى غيرها ويتألم !!

وهى على ما تقدم ، دائمة الشكوى من الزوج ومن البنين ، ساخطة على حياتها لأنها تعتبرها من حياة الرقيق وتؤمل أن تجمع المال الذى يهيىء لها حياة رغيدة .. ولكنها لم تذكر أبدا مقدار هذا المال !!

اما (جانت) فهو الزوج ورب الأسرة ، هو كلاهما ، بمقتضى القانون والعرف وليس بما يقوم به ويبذله فى سبيل الأسرة .. فهو والحالة هذه رجل خائب .. يكره ملكية اى شىء ، تولدت فيه هذه الكراهية بسبب ما نزل به من خسارات مادية عندما كان شابا، ثم أراد أن يكون مثالا ، ولكن المواهب كانت تعوزه ، فاكتفى فى النهاية بالانزواء فى حانوت ينحت الرخام لشواهد القبور ونصبها ... مداعبا حلمه الذى لم يتحقق ، كما وجد فى الخمر مهربا من الواقع ... ولكنه اذا ثمل ، بالغ فى عرض ما تبعثه الخمر من نزعة الى الصخب والاستعراض ، وكأنه يجد شيئا من الرضا فى أن يلتفت الناس الى صخبه ، وفى أن تحوطه الزوجة برعاية لا يحظى بها الا اذا كان على

هذه الحال ... اذ الخلاف بينه وبينها على أتمه ، بل هو القطيعة، وذلك لتعارضهما فى وجهات النظر ، فهى تلوح له بخيبته فى حياته ، وبالسلبية أمام النهوض بمسئولياته العائلية ، وهو يشكو من أنها تحولت الى آلة حاسبة للنقود ، فهى فى نظره عند حد ما يصرح به « اذا لمست صدرها ، تحس طقطقة حادة تحـــدثها وثائق البيع ومستنداته » .. لا دفء أنثوى فيها .. وما أحوجه الى هذا الدفء، وما زالت به عروق من رجولة قوية الحس أكسبته فيما مضى شهرة خاصة فى حانات البلدة ...

ولم تقتصر أسباب الشكوى على لسان الأم والأب ، بل امتدت الى بقية أفراد الأسرة ...

الابنة (هيلين) تشكو لأن الأم ترهقها بالعمل فى النزل ، بعد أن جعلت منها شبه خادمة وهى تلبى مطالب النزلاء ، كل هـــذا فى مقابل أنها تسكن النزل وتأكل هى وزوجها .

والزوج (هيو) ، ويعمل بائعا لآلات تسجيل النقود ، لا تنقطع له شكوى ، لأن الخدمة فى النزل تستنزف طاقة زوجته وتصرفها عن العناية به ، فهو يحاول أن يغير هذا المصير ، وأن يستقل بحياته، ولكن محاولاته تقف عند حد التمنى ، ويقنع بمطالعة الصحف بحثا عن وظيفة كبيرة تدر عليه أجرا كبيرا !!

وتكتمل مجموعة الأسرة بالأبن الأكبر (بن) والصغير (أيوجين) وهما لا يختلفان عمن تقدم ذكرهم تبرما بالواقع ، ودأبا على محاولة التحرر منه .. الا أن لكل منهما مشكلته .

(بن) يعمل فى احدى الصحف الاقليمية عملا (روتينيا) أورثه السأم ، ثم هو يضيق أيضا بالحياة فى هـــذه الأسرة التى يعوزها الانسجام والألفة ، ويحز فى نفسه أن يرى الأم لاهيـــة عن تعليم شقيقه الأصغر ريثمـــا تنتهى من اتمام صـــفقات مالية .. كما تدعى هى .

كل هذا جعله دائم النزوع الى أن يرحل بعيدا ، ولكن سرعان ما يتعثر هذا النزوع فيستسلم وهو يصرخ : « لا سبيل الى أن يخرج الانسان من جلده » ، وهذا ولا شك هو التشاؤم بعينه .. وفى هذه الشخصية ، التى تتجمع فيها انعكاسات ذلك العصر بجيله الضائع ، يتجلى النضال المرير بين القدرة على التفكير ، وبين العجز عن أن يترجم تفكيره بالفعل النافذ .

وسيجد (بن) فى النهاية مخرجا .. ولكنه مخرج محتوم لم يبذل فى سبيله جهد ، على الرغم من أن (بن) هو الثائر الاول الذى يطالب بحقه فى حياة أفضل !!

و (أيوجين) يحس بدوره الضياع ، ولكنه لا يحسن التعبير عنه مثل شقيقه الأكبر ، لأن مرارة الحياة لم تتأصل فيه ، ولأنه لم يبلغ النضج فى تمرسه بالحياة ، فالحلم فى رأسه يصرفه كثيرا عن الواقع ويدفعه الى التفاؤل ...

وعمله فى النزل أن يستقبل القطارات الوافدة على البلدة ليوزع بطاقات الاعلان عن النزل ، كما أنه يعاون والده فى حانوته ... وهو يأتى هذا وذاك مكرها لأنه شغوف بأن يتعلم ، ولأنه فى السن المبكرة التى تسوق صاحبها الى البحث عن تجارب يعيشها ليستكمل ذاتيته ثم يتطور على نتائجها .

هؤلاء هم أسرة (جانت) ، وبينهم يجرى النضال الذى يؤلف البناء الدرامى للمسرحية ، وهو نضال مزدوج ، الأول بين كل منهم ونفسه ، والآخر بينه وبين غيره من شخصيات المسرحية .

وأساس النضال ــ كما سبقت الاشارة اليه ــ هو أن كلا منهم شاك وساخط على واقع حياته ... ويحس الحاجة الى أن يتطور ليتحرر من هذا الواقع .

الا أن لكل منهم مرادا فى نزعته الى تحقيق ما يرغب فيه،وطاقة. ومرجع الأمر فى هاتين الناحيتين ، المقومات النفسية فى كل منهم وعامل الزمن ثم انعكاسات الأحداث عليها .

لهذا سنرى أن جميعهم لن يقطع الشوط الذى يريده ، مع توافر النية فى كل منهم على قطعه !!

والى جانب هذه الشخصيات ، لا غنى عن أن نضيف اثنتين من المقيمات فى النزل ، لأن الكرة تنتقل أحيانا الى أيديهن ، ولأن كلتيهما بمثابة عامل له أثره فى سلوك كل من الشقيقين ...

الأولى (مسز بيرت) تجاوزت الأربعين ... بهـا جوع الى الجنس ، انجذب نحوها (بن) على الرغم من أنها تكبره بثلاثة عشر عاما ... وجد فيها الحنـان الذى يفتقده ، وانجذبت هى اليه بحكم أنها امرأة فى مهبط العمر وتحس أن الأيام تسرقها ما تبقى فيها من حياة الجنس .

أما الاخرى ، (لورا چيمس) ، ففى الثالثـة والعشرين ، هبطت البلدة لتستجم وتقطع فى أمر الزواج من شـــخص طلب يدها فى بلدتها ... ولكن سرعان ما يربط حب بينها وبين (أيوجين) ... أحبته بدافع من الشفقة وبحافز الى تجربة عاطفية جديدة ، وهو قد اندفع اليها،لان الحرمان يحز فى قلبه ، ولانه فى السن التى يكون فيها الحب حاجة وضرورة .

المجتمع والمأساة :

على هدى ما تقدم ، وفيه اجمال للبيئة النفسية لأهم شخوص المسرحية ، يبدو واضحا أننا أمام قطاع كبير من الحياة ، كما تجرى فى واقع أسرة من الطبقة المتوسطة ، وأن هناك مشكلة تعصف بهم لا دخل للعوامل الخارجية عن حياة الأسرة فى قيامها .

اذن ما المشكلة ؟

المشكلة فى هذه الأسرة منهم واليهم ...

انهم منقسمون على أنفســهم ، منقســمون بعضهم على بعض .. حتى أنهم ليحسون بروابط الدم التى تجمع بينهم .

والسبب ؟

هو هذا الفراغ الذى يحسونه حينما يرون ما هم عليه فى الحياة، وما يجب أن يكونوا عليه ، ويحاول كل منهم أن يلقى تبعة ما هو عليه على غيره ... ففيهم شعور بالنقص يدفعهم ، بوعى وبغير وعى، الى أن يقيموا توازنا اجتماعيا بين الواقع القائم وبين ما يحبون أن يكون عليه هذا الواقع .

وحينما يستبد هذا الشعور بالنفس ، وهى تناضل لتحقيق هذا الأمر ، فانه يحيل الحياة الى مأساة مزعجة .

والمأساة التى تنزل بانسان ، دون أن تكون له يد مباشرة فيها ، كان القدماء ينسبونها الى القدر ..

أما المحدثون فيرون أن (المجتمع) ، بما يختلج فيه ، هو المسئول الأول .

والمجتمع المسئول عن محنة ابطال هذه المسرحية ، سبق أن كشفنا عن ماهيته وما يغتلى فيه من حيرة وقلق وضياع . ولن أعمد الى سرد حوادث المسرحية حسب تتابعها ، اذ أن فى ذلك ما يسلب القارىء متعة الوقوف عليها ، وهى تتشابك وتتعقد .. أن مهمتى فيما أورده هى تفتيح نوافذ على الموضوع فى جملته ، والقاء أضواء متحركة على شخوص المسرحية ابتغاء أن أثير فضول القارىء .

واذا قررت أنه قصير الخط الذى تتحرك فيه هذه الحوادث ، فان هذا الخط ، على قصره ، عريض عرضا يتجاوز طوله ، اذ مدت فيه عرضا ، شحنات من الانفعالات المختلفة ، التى تفصح تارة ، وتغمض تارة أخرى ، تبعا لاختلاج الغرائز الكامنة فى ثنايا العقل الباطن .

الغـام تتفجر :

ولعل من أبين مشاهد هذه المسرحية دلالة على الانقسام القائم فى هذه الأسرة ، وأبعدها كشفا عن المضمر والظاهر تختلج به نفوس القائمين فيه ، هو ذلك المشهد الذى تسعى فيه الأم (الزا) الى

مقابلة زوجها (جانت) فى حانوته لتقنعه بوجوب التوقيع على عقد يبيع بمقتضاه الحانوت والأرض التى يشغلها ، الى أحد المرافق العامة بالبلدة ، فى مقابل عشرين الفا من الدولارات .

ها هى ذى تدخل عليه ، وقد حشدت وراءها ولديه (بن) و (أيوجين) ثم شقيقها السمسار ، ابتغاء التأثير فى الزوج العنيد .

ـ يا لرشاقتك !! لا أصدق ما أرى ... كأنما تجمع بين النار والماء !!

ولكن الزوج لا يؤخذ بهذا التلطف ، ويطلب اليها أن تنفذ الى صميم الموضوع ، غير أنها تعمد الى مقدمات أخرى ... انه على أبواب الستين ، وقد حان الوقت لأن ينصرف عن نحت الرخام وأن يخلد الى الراحة ...

ويزم الزوج شفتيه .. فتأخذه الزوجة الحاذقة من ناحية أخرى ... تلتفت الى ابنها (أيوجين) لتقول انه قد حان الوقت لتحقيق رغبته فى أن يلتحق باحدى الكليات ليتعلم ، وان تحقيق هذه الرغبة المشروعة ـ هى تراها فى هذه المناسبة مشروعة ولأول مرة ـ يتطلب دفع نفقات كبيرة و ...

ويقطع الزوج هذه المقدمات بأن تأتيه بعقد البيع والشيك ، فتقدمهما اليه مع قلم ملىء توا بالحبر .

ويسأل (جانت) عن مصير النصب الرخامية التى تملأ الحانوت ؟ فتجيبه بأن العقد لا يشملها .

وهنا تقع مفاجأة ... اذ ينبرى (أيوجين) ينقض ما دبرته أمه، ان والده نحات عظيم ، وما من مدافن بالولاية الا وقد امتلأت بأعماله البارزة ، وان والده أصبح من الهرم بحيث لا يستطيع أن ينقل حانوته الى مكان آخر ، ويرجو والده ألا يتخلى عن حانوته .

وتجىء المفاجأة الأخرى .. اذ ينضم (بن) الى شقيقه الأصغر ويصرح بأن أباه نحات عظيم وأنه ليس من السهل عليه أن يقطع ماضيه فى حانوت عاش فيه طويلا !!

وتعجب الام .... كان الشــــقيقان يتكلمان بنقيض ما قالاه الساعة ، وذلك فى مناسبات سابقة !!

ولكن لا عجب فالأبناء ، بدافع باطن من غريزة البنوة ، يسعدون بأن ينظروا الى آبائهم بنفس النظرة التى كانوا يطالعونهم بها وهم صغار ، وحينما يستيقظ هذا الاحساس فيهم ... فانهم يغيرون من حالات نفسية يكونون عليها !!!

وترغى الزوجة من جديد .. ويوقع (جانت) العقد ، ولكنه يرفض أن يوقع على ظهر الشيك لتتسلم الزوجة قيمته من المصرف.

والسبب ؟

ان هذا المبلغ يخصه وحده فهو صاحب الأرض والحانوت ...

وهو يرى أن يصحب ولده الى المدينة التى ســيلتحق باحدى كلياتها ليرعاه ويتولى دفع نفقاته .

ويتأزم الموقف بينه وبين الزوجة التى خذلهــا ابناها ، وينفجر لسان الزوج :

ـ هأنذا أرى شــفتيك اللعينتين تكــادان تنطقـان بكلمـة ديكسيلاند ، أما من شيء (لنزل ديكسيلاند) ؟ كلا .. ما من سنتيم واحد لعين ... فما أكثر ما تملكينه مما يمكن بيعه ..

ويضع الشيك فى جيبه ، ولكن الزوجة الحانقة تنتزعه منـه وتمزقه وهى تنفجر بدورها :

الزا ـ أظن أنه لن يمنعك شيء عن الذهاب الى البنك لتحاول الحصول على شيك آخر ؟ ولكنك لن تفلح .. سأقوم بالحجر عليك، والكل يعلم ما كنت تعالج منه ذات يوم .. وما كنت تهددنى به .. أنت مجنون .

جانت ـ ان كل ما تذكرينه عنى لهو صحيح .. فلم لا تتركيننى أغرب عنك ؟

الزا ـ لانك زوجى .. أنت زوجى .. لقد قضينا معا واحدا وثلاثين عاما ، وعلينا أن نواصل حياتنا معا .. ان بيتا وهو منقسم على ذاته ، لا يمكن أن تقوم له قائمة ، علينا أن نحاول أن يفهم بعضنا الآخر ، وان يحب بعضنا بعضا .. علينا أن نحاول .

وينصرف كل منهما فى طريق ..

ويعقب أيوجين :

ـ ترى ماذا حدث لهما ... لقد كانا متحابين ذات يوم؟

ويجيبه شقيقه الأكبر :

ـ انهما الآن غريبان لا يعرف أحدهما الآخر ، ولم يسع واحد منهما ليفهم الآخر .

ما أكثر وما أروع ما كشف عنه المؤلف عما نريده فى هذا المشهد ! !

ان صلات الدم ، وروابط القرابة ، والعيش تحت سقف واحد .. كل هذا لا يفيد فى أن يشمل الوئام والمحبة والتراحم اعضاء الأسرة الواحدة ولا يكفل ايجاد البيت السعيد .

وحينما شخص المؤلف العلة لم يتوان عن تقديم الدواء ... والا فهم أنانيون مسرفون فى حب ذاتهم ، لأن كلا منهم لا يريد أن يبذل شيئا مما فى نفسه ليلتقى بالآخر .. انهم اقارب فى الدم ، أعداء فى المعاشرة .

وقد يتساءل القارىء : ومن الملوم فى هذا الانقسام ؟ الزوج ، أو الزوجة ، أو المجتمع بما يعتمل فيه ، وقد اندفعت تياراته تثير كوامن النفس وتهيئها لأن تسيطر على سلوكنا فى غير اعتدال ؟؟

والجواب لا يعسر استخراجه ، اذا أنعمنا النظر فى قراءة المسرحية .

من عالم الغرائز :

ونعود الى المشهد السابق لنواجه من زاوية نظرة أخرى ، ابتغاء أن نلقى ضوءا على البواعث الباطنة التى عملت على تأزم الموقف بين الزوج والزوجة ، فأقول لا شك فى أن هذا الموقف كان يتخذ وجها آخر ، لو لم يكن وراء كل منهما دوافع من العقل الباطن .

فالزوجة فى الأسباب الظاهرة التى تعللت بها لبيع الحانوت لا تجافى المعقول ، أو المنطق ... ان بيع الحانوت يعود باليسر على الأسرة ، ستدفع رهن المنزل ، ستصرف على تعليم الابن ..

ولكن أليس فى وسع الزوجة أن تحقق هذه الأغراض دون أن تسلب الزوج أعز ما يملك وهو ماضيه الذى يعيش فيه فى هذا الحانوت ؟

أجل فى مقدورها لو لم تستجب الى أنانيتها فى أن تسلب الغير ما تستطيع سلبه دون أن تفقد شيئا مما تملك ...

وزاد من حدة هذه الأنانية أنها امرأة تحيا بحب واحد ، هو الاستزادة من جمع المال واستثماره .

ثم هى زوجة تنطوى على موجدة دفينة فى أعماق نفسها .. ان زوجها سبق أن أسرف فى اذلالها بعلاقات آثمة مع غيرها .. ولكل موجدة ثأرها !!

والزوج بدوره .. كان من المعقول أن يوافق على كل ما عرضته زوجته لولا أن هناك وراء عقله الظاهر ، أى عالم المنطق أو العقل ، باعثا الى ايلام الزوجة التى أذاقته الوانا من الحرمان ، الى أن يستبد وأن يفرض ذاتيته وقد حانت له الفرصة لاستعراض عضلاته المنكمشة !!

من الكبت الجنسى !

وهناك أمر جدير بالاعتبار ، ما دمنا فى صدد التقويم النفسى الظاهر والباطن لدى بعض شخوص المسرحية .

ان (غريزة الجنس) تنفخ أحيانا وراء تصرفاتهم ، لأن الانطلاق الغريزى الجنسى لديهم لم يجـــد مجاله المشروع فاذا هو يشكو الحرمان .

فالشقيقان (بن) و (أيوجين) يشقيان بهذا .. فأصبح الأول مشدودا الى معاشرة احدى النزيلات (مسز بيرت) على حين أنها تكبره بأعوام ، فى حين أن الآخر استغرقته أحلام من مراهقة مكبوتة، دفعته الى أن يرتمى تحت أقدام أول وافدة على النزل ، (مس لورا چيمس) ، وهى بدورها تكبره بأعوام !!

والأب (جانت) الذى فقد دفء زوجته ، كان يصك أسنانه صامتا ، كلما رأى زوجته تزداد قوة ونضارة !!

بل ان الزوجة (الزا) على انهماكها فى عد الدولارات وتقبيلها ، لم تنج من نفخ الحرمان ، فكانت لا تطيق رؤية لقاء يجرى بين ولديها وبين اللتين تعلقا بهما !!

ومسز ؟ بيرت ... لماذا اذا هى متمسكة بالاقامة فى هذا النزل ، ولا تبالى بتقريع صاحبته اياها ؟ انه الجوع الجنسى الذى وجد غذاءه عند (بن) !!

هذا العامل ـ عامل الجنس ـ كان له ـ ولا شك ـ تأثير فى احتدام الصراع النفسى القائم بينهم ، وهو الصراع الذي يستمد وقوده الرئيسى من التبرم ومحاولة الخروج منه ، مع انقسامهم فى وجهات النظر .

الصراع سبيل التطور :

والآن نتساءل عما انتهى اليه هذا الصراع فى تطوير اصحابه ؟
تطورت نفسيات بعض شخوص المسرحية تطورا واضحا ، وجمد بعضها الآخر ، أو بالأحرى هم اخـــذوا من التطور مسحة

بتأثير هزات نفسية عنيفة ، ثم نكصوا على أعقابهم بزوال تأثير هــذه الهــزات .

هذا والاستجابة الى عامل التطور يجرى نسبيا بين الناس ، كما أن للتطور نكوصا تلقائيا من غير سبب ملموس .

فالأم (الزا) لم تتطور ، اذ لم يكن لها حلم الا جمع المال ... فالواقع الحاضر هو حلمها وأملها ... المال عنــدها هو الحاضر والمستقبل .

وعلى الرغم من الهزة العنيفة التى نزلت بها بموت ولدها الأكبر (بن) ، فانها لم تزحزح عن جمودها ... ثارت على هذا القضاء وأخذت تحطم أثاث المنزل الذى صنعته بعرق جبينها ، بل أخذت تنكر حياتها الجافة الكئيبة ، وتصيح بأنها ستنزل عن حياة العمل وتعيش لنفسها ، ولكن سرعان ما عاودها طبعها الأصيل ، وسرعان ما أحست العزاء يردها الى اتزانها .

والأب (جانت) لم يتطور ، أى لم يعط صورة جــديدة من صورته القديمة . لأنه يعيش فى الماضى بين شــــواهد القبور التى ينحتها ... لأنه منطو على خيبته ...

ان الصراع النفسى فى كل من هاتين الشخصيتين يتخذ وجهة سلبية لا تزيد على الاغراق فى السخط والصراخ .

الا أن الأمر يختلف فى الشخصيات الأخرى .

فالابن الأكبر (بن) ، وهو أكثر شخوص المسرحية تمردا على الواقع وأملؤهم شعورا بوجوب تطوير حيــاته ، ربما كان يحقق ما يريده لو أن الموت أمهله ليشب وثبته .. الا أنه قبل وفاته تطور فى ابداء شكواه .. صار يفلسف هذه الشكوى بعد أن كانت صراخا أجــوف .

أما الابن الأصغر (أيوجين) ففيه أوضح مثال للتطور ..

فهو فى أول المسرحية غيره فى وسطها ، ثم هو فى النهاية صورة اخرى تقابل ما كان عليه فى أول الأمر عند ما شاهدناه مستخذيا ، مهمل الهندام متراخيا فى العمل ومنطويا على ذاته .

كان (يوجين) منذ البداية شغوفا بأن يتعلم ... ويحاول أن يعرف وأن يعبر عما يعرف ، رايناه أول ما رايناه ممسكا القلم ويحاول أن يخطط انطباعاته عن شقيقه الأكبر فى بيان مختلج ...

ثم جاءت نقطة التحول ... وجاءت عن طريق الحب ... شحنة يقظة واقبالا على العمل ... وجرأة ، وهو الذى كان لا يستطيع أن يواجه نظرات أمه !!

وسرعان ما جاء الجواب صريحا وجريئا :

وما ضير هذا ؟ وماذا لو كان صحيحا ؟ أليس لى من الحق ما لأى أحد ؟

و (لورا چيمس) قد تطورت أيضا ... أعلت فى النهاية عامل العقل على عامل العاطفة حزمت أمرها ورجعت الى بلدتها لتتزوج الرجل الذى ترددت قبلا فى الزواج منه .

من ألوان الحب ؟

وما كنه هذا الحب الذى قام بينهما . والذى يؤلف الناحية المشرقة بين أناس تسودهم الكآبة والوحشة ؟

انه لا يزيد عن عاطفة حيوية انبثقت فى قلبين ، فى كل منهما فراغ عاطفى مؤنس ، هذا وفى النفس كبت جنسى ، عاطفة قامت بحكم الحاجة الضرورة ، وليس فيها اختيار ومراجعة .

وحينما وجد كل منهما ذاته على وجه يرتاح اليه ، وقد تفتحت له نوافذ لم يكن يطل منها على العالم ، وحينما خفت وطأة الجنس لم يصعب عليهما الفراق ... ارتدت (لورا) الى صوابها ، وانصرف (ايوجين) مبهورا الى مطالعة عالمه الجديد ... تجربة لم يكن

لاحدهما غنى عن أن يتمرس بها لينتقل من حال الى حال ، ليتطور .
انه حب يبنى ويخلق !!

التفاؤل ... والاعتدال ، والعطف .

وفى شخصية (ايوجين) نحس بنزعة المؤلف الى التفاؤل . كما نلمس ايمانه الراسخ بالانسان بقدرته على أن يثبت كيانه ، وان يعلو به على الأحداث ، بأن يتحرر مما يرزح تحته ليصنع حياة أفضل .

ان المؤلف يوحى بأن لكل جهاد ثمرته ولكل محاولة صادقة جزاءها .

وهذا الايمان بالانسان من جانب المؤلف ، يدفعه الى أن يعطف على الانسان ، بدليل أن بقية شخوص المسرحية ، وان بقوا حتى النهاية على سخطهم وانقسامهم ، فان الحياة بينهم لم تتخذ مجرى وعرا ، ولم يضيقوا بالحياة الى حد الاستسلام أو التبلد .

فالأم (الزا) ، على ما هى عليه من أنانية تبرر لها أن تسخر كل افراد الأسرة فى أن يدوروا فى فلكها ، تستدر عطفنا واشفاقنا ، اذ ما من شك فى أن للحياة نفسها دخلا فيما هى عليه ... اننا نأسى أن نراها تلقى جزاء تطرفها ومبالغتها بحيث تحولت من أم وزوجة الى آلة حاسبة للنقود صماء .

ان المؤلف من انصار الاعتدال ، يمقت التطرف والمبالغة ! .

والأب (جانت) بدوره لا يمكن الا أن يحظى من جانبنا بمواساة وحنان !

وعطف المؤلف على الانسان فى شخوص مسرحيته ، يمتد الى القارىء ، فقد حرص المؤلف على الا يرهق القارىء أو يسلمه الى عذاب من التفكير ، بأن يقدم له شخصيات ، ذات أبعاد تضيع معالم منها فى الضباب .

والحديث يطول ويتشعب اذا أزمعنا أن نتقصى كل ما يجب ابرازه من هذه المسرحية التى تتضمن قطاعا كبيرا من الحياة ...

من الرمزية :

الا أن هناك أمرا جديرا بالذكر ...

ان المسرحية ، كما سبقت الاشارة ، تقوم فى المعالجة على المنهج الواقعى فى التعبير اذ هى تقدم شرائح من الواقع بدمها الدافق الملموس .

غير أن هناك جنوحا ملحوظا من جانب المؤلف الى الأخذ بالمنهج الرمزى ، ويظهر هذا فى نقطتين . الا أن ما أورده المؤلف فيهما ، لم يجىء لذاته ، وانما لتدعيم الواقع فيهما ، باحياء صورة ماثلة منه ، ابتغاء التعميق فى التأثير والاثارة .

ما هذا التمثال ... تمثال الملاك الذى يؤلف قسما من عنوان المسرحية ، ويتمشى فى كثير من مشاهدها ، ويكاد أن يكون له دور فيها ؟؟

ان ما ورد فى المسرحية خاصا بهذا الملاك يجدد ماهيته من الناحية الموضوعية اشتراه (جانت) وهو شاب من المثال الذى رغب فى أن يتعلم على يديه نحت التماثيل ولكنه لم يفلح ... فبقى تمثال الملاك هذا ، مع (جانت) فى مختلف أدوار حياته ، وكأنه رفيق لا يبتعد عنه ، وقد حاول (جانت) عبثا ، فى عشرين قطعة من الرخام ، أن يصوغ تمثالا على غراره .. وما زال يؤمل فى أن يصوغه ليودع فيه شيئا من ذات نفسه عند حد ما يصرح به .

الا أن هذا التمثال ، بحكم تلك العشرة الطويلة مع (جانت) ، اكتسب معنى جديدا أبرز له كيانا آخر فى نفسية (جانت) وفى المسرحية نفسها !!

ان هذا التمثال يؤلف القطاع الأكبر من الماضى ، ماضى (جانت) وفيه تتركز معالم فشله ورغباته وأحلامه .

والماضى ، مهمـــا كان مريرا ، فلا منـــاص ولا مفر منه ، لانه الشرقة التى نطل منها على الحاضر ، ولا حيـــاة لانسان من غير هذا الماضى .

ولهذا لم يكن مستغربا من (جانت) أن يرفض بيع هـــذا التمثال الى من ألحت فى شرائه وبذلت له الثمن الغالى !! .

ومن هذا المعنى يمتد الخيط الذى يقودنا الى معرفة العلاقة بين عنوان المسرحية وموضوعها .

والناحية الأخرى التى جنح فيها المؤلف الى الرمز ، وان شئت فقل الى غير الواقعية فتتجلى فى المشهد الختامى للمسرحية .

فى هذا المشهد يجرى الحوار فى عالم الخيال ، بين (بن) المتوفى وبين شقيقه (ايوجين) الذى أفاق على وقع الحوادث ووجد ذاتيته بتأثير الحـــب وما خلفه فيه من لوعة فأخـــذ أهبته للرحيل بعيـــدا عن المنزل ، ولم يجد فى ابقائه توسل الام ،لان رحيله انما هو انطلاق الى العالم الجديد الذى طالما راود أحلامه ... لأن رحيـــله كما يعتقد ـ انما هو بحث عن أرض السعادة .

ايوجين : اذن فلأبحث عن نهاية الجوع ... عن أرض السعادة .
صوت بن : ليس هناك أرض للسعادة ، ولا نهاية للجوع .
ايوجين : ساعدنى ... عليك أن تجد الجواب لهذا التساؤل .. حتى لا أستمر فى البحث عنه .

صوت بن : أيها الاحمق الصغير ... ما الذى تبغى استكشافه ؟؟؟
أيوجين : أريد أن أجد العالم ... أين العالم ؟؟

صوت بن : ان العالم ليس مكانا ، وليس أحدا ... العالم هو انت ، وهو نفسك .

هـذا الحـوار ، ومـا يقوم خلفه من المعـــانى • يدخل فى عالم (الصوفية) الذى هو من الرمز ، ويذكرنا بما قاله شاعر صوفى من العرب القدامى •

وتزعم انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

ويهبط الستار على حوادث المسرحية ، ولكن القصة لم تنته بعد لأن ستارا آخر يرتفع فى مخيلة القارىء ويكشف عن آفاق جديدة من التأمل تغريه بأن يتابع التفكير والتوليد ... والحلم . وهذا من خصائص المسرح الرفيع الذى لا يتكلف نهايات حتمية مرســومة لأشخاصه ، ولا يضع حلا للمشاكل القائمة فيه ، باعتبار أن هذا كله من الحياة ، والحياة ليس لها حل ، وهى دائمة التحول والتبدل.

زكى طليمات

توماس وولف

الكاتب المسرحى الذى أدرك أنه آخر من يصلح لكتابة المسرحية
بقلم ادوارد س . أسويل (*)

كان المسرح أول ما شغف به توماس وولف . اذ بدا له أن اقصى ما يطمح فى الوصول اليه من مجد هو أن يرى اسمه منقوشا بحروف من نور على واجهات مسارح برودواى . ومن أجل تحقيق هذه المطامح ، تلقن أول مرة فن كتابة المسرحيات على يد الأستاذ فردريك كوخ ، مؤسس ومدير مسرح « كتاب الدراما » الملحق بجامعة كارولينا الشمالية . وهناك كتب توماس وولف عديدا من المسرحيات الشعبية ، كما اشترك فى تمثيلها . ولعل أعظم ما عرف منها مسرحية « عودة تك جافن » .

وكان توم ، بعد ذلك بعدة سنوات ، يخجل من هذه المسرحيات، بل كان ينظر الى الأستاذ كوخ وآرائه فى المسرحيات الشعبية نظرة لا تخلو من بعض الازدراء . وحدثنى ذات مرة ضاحكا فقال : « كان علينا أن نكتب مسرحيات تدور حول متسلقى الجبال ، سواء أكنا قد رأينا أحدا ، وهو يتسلق جبلا ، أم لم نره » .

وبعد أن تخرج توماس وولف فى كلية « تشابل هل » ، التحق بجامعة هارفارد ، حيث واصل دراسته لفن الدراما ثلاث سنوات تتلمذ فيها على يد الاستاذ چورچ بيرس بيكر فى معهده المشهور لتدريب الممثلين . وأخذ يكون لنفسه شيئا فشيئا رأيا مختلفا تماما عن عمل الفنان . وذكر لى فيما بعد ، وهو يشير الى كتبه ، فقال :

(*) ادوارد س . أسويل صديق وولف وناشر مؤلفاته .

« لا مندوحة لى من أن أكتب عما أعرفه ، اذ ليس فى مكنتى ان أكتب عن شيء أجهله » .

وكتب توم ، تحت اشراف بيكر الأستاذ بجامعة هارفارد عديدا من المسرحيات ، اهمها مسرحية « بيت الأخلاق » و « مرحبا بكم فى مدينتنا » . على أن أحدا من المشتغلين بالمسرح لم يفكر فى اخراج مسرحيته « بيت الأخلاق » الا فى ألمانيا فيما بعد الحرب حيث ظلت تمثل وقتا طويلا . ويدور موضوع المسرحية حول الحرب الاهلية الأمريكية ، وهزيمة شعب باسل عظيم ، ثم خضوعه المطلق لجنس آخر أقل منه محتدا وأصالة ، كانوا يطلقون عليهم « أصحاب الرقاب الحمراء » ، الوصوليين ، الذين تقلدوا مقاليد الحكم فى البلاد ، بعد أن وضعت الحرب أوزارها ، وأصبحوا سادة البلاد الجدد . ومن اليسير علينا أن ندرك السبب الذى من أجله لقى هذا الموضوع قبولا لدى الشعب الألمانى فى هذه الأيام .

واذا جاز لنا أن نصدر حكمنا على مسرحية « بيت الأخلاق » فاننا لا نكاد نعدها مسرحية ناجحة ، ذلك لأنها لا تصلح للتمثيل . فهى مليئة بحوار فخم العبارة ، زاخرة بالأحاسيس القاتمة . واذا كان لهذه المسرحية أهمية خاصة ، فذلك لأنها تكشف لنا عن مدى ما بلغه توماس وولف من نضج فنى . اذ لأول مرة فى قصصه تظهر شخصية مركزية تدور حولها المسرحية ، هى شخصية أيوجين ، وهى شخصية توماس وولف نفسه فى شبابه . وقد أخذت شخصية أيوجين فى مسرحية « بيت الأخلاق » تكتمل بعد ذلك فتصبح أكثر واقعية كما تتضح فى شخصية يوجين فى قصة « الى البيت يا ملاكى » .

وقصة « مرحبا بكم فى مدينتنا » لون آخر مختلف الذوق تماما، وكانت آخر ما كتبه باشراف أستاذه بيكر . وقد حاول فيها أن يفعل المستحيل ، اذ شاء أن يرسم صورة لمدينة كاملة من مدن الجنوب بكل ما فيها من أشخاص ودوافع تتشابك وتتعقد فى حبكة

قصصية ، يصل بها فى النهاية الى مأساة الصراع العنصرى . وكانت هذه المدينة هى « آلتمونت » ، وهى نفس مدينة « آلتمونت » فى قصته « الى البيت يا ملاكى » التى تمثل مدينة « آشفيل » مسقط رأس توم . ونحن لا نعثر على أثر لشخصية أيوجين فى مسرحيته « مرحبا بكم فى مدينتنا » . ولكنك اذا أضفت مسرحية « بيت الأخلاق » الى مسرحية « مرحبا بكم فى مدينتنا » فانك ترى فى أيوجين ومدينة « آلتمونت » الأصل البعيد لمسرحية « الى البيت يا ملاكى » .

وكادت مسرحية « مرحبا بكم فى مدينتنا » تجد من المشتغلين بالمسرح من يقوم باخراجها ، فقد ارادت رابطة ممثلى المسرح اخراجها فى عام ١٩٢٣ ، على أن يعمل فيها قلمه بالبتر والحذف ، وأن يقلل من عدد شخصياتها المزدحمة . وقد سعى وولف جاهدا أن يقتطع منها بعض أجزائها ، ولكن محاولاته كانت تنتهى دائما بالزيادة عليها . وقد أدت جهوده الفاشلة الى أن يدرك آخر الأمر أنه آخر من يصلح للكتابة المسرحية . فلم يكن فى مقدوره أن يكتب ملتزما القيود التى يفرضها المسرح . وقد أدرك أن رابطة الممثلين كانت على حق فى مطالبتها اياه بالاقتطاع منها ، ولكنه كان يعتقد عن يقين لا يتزعزع أنه كان على حق كذلك فى تذمره من كثرة الحذف الذى كانت تطالب به الرابطة ، لأن هذا الحذف لم يكن ليتيح له أن يقول نصف ما كان يبغى قوله ، ولعل هذا هو الذى جعل المسرحية تزداد طولا وازدحاما كلما تصدى لها بالحذف .

وعندما عجز توم فى العثور على مخرج يتولى اخراج مسرحية « مرحبا بكم فى مدينتنا » أدرك أخيرا أن مشكلته تتركز فى محاولته استخدام صيغة أدبية لا تتفق مع مواهبه الفنية . وقد شرع ، بعد أن ذاق مرارة الفشل ، فى تجربة لون من الكتابة لم يكن قد مارسه من قبل . وهكذا اكتشف توماس وولف ما يصلح له عندما تبين ما لم يكن يتفق مع مواهبه

وقد كتب فى رسالة له الى أستاذه بيكر ، فى الوقت الذى كان يجاهد فيه فى كتابة آخر مسرحياته ، يقول : كتبت هذه المسرحية ، وقد اشتملت على ثلاثين شخصية تحمل أسماء غريبة ، لأن المسرحية كانت تتطلب هذا ، ولم أكن قط رساما يسخو بألوانه هباء . وسوف أكتب ذات يوم مسرحية تضم خمسين أو ثمانين ، أو مائة شخصية — مدينة كاملة ، شعبا بأسره ، عصرا بطوله .

وحقق رغبته هذه بعد ذلك ، ولكنه لم يضع هذا فى قالب مسرحى ، وانما فى قالب روائى ، وكان ذلك فى قصته التى سماها « الى البيت يا ملاكى » وكانت المدينة هى « التمونت » ، والشعب هو أسرة جانت والتى كان يوجين أصغر أفرادها ، وكان العصر هو العقد الأول والثانى فى مطلع هذا القرن .

وقضى توماس وولف نحبه فى ١٥ من سبتمبر ١٩٣٨ ، وكان قد بلغ السابعة والثلاثين من عمره . والآن وبعد انقضاء أكثر من تسعة عشر عاما على وفاته ، مثلت مسرحية « الى البيت ياملاكى » على مسارح برودواى ، بفضل ما أوتيته « كيتى فرينجز » من بصيرة منقطعة النظير ، ومقدرة فنية فى الكتابة المسرحية . وكم كان يطيب لتوم هذا الحادث ، وهو يشاهد قصته تحولت إلى مسرحية تمثل ، ولا أخال ذلك الا أقصى ما كان يبغيه .

ولا أستطيع ، لسبب لا أدركه ، ألا أن أعتقد أن توماس وولف كان يشعر بالارتياح وهو يرى أن كيتى فرينجز أحرزت نجاحا كبيرا فى تحقيق ما عجز هو عن القيام به ، بعد أن استخلصت للمسرح مضمون ما كان عليه أن يقول . ولو أن الأجل امتد به ، لشعر بالرضا عندما يعلم أن القصة التى دبجتها يراعته قد أصبحت الآن احدى عيون الأدب الأمريكى المأثورة ، تدرس فى المدارس والجامعات ، وتطبع فى كثير من الأقطار ، ويقرؤها الملايين من البشر ، وسوف تظل دائما تنبض بالحياة ما دام هنالك جيل من الشباب ينشأ فيكتشفها ، ليعترف بالجميل لذلك الشاب توم وولف الذى يعتبر الصوت الحقيقى لما يجول فى نفوسهم .

أشخاص المسرحية

بن جانت
مسز ماری پيرت
هيلين جانت بارتون
هيو بارتون
الزا جانت
ويل پنتلاند
يوچين جانت
چينك كلات
فلورى مانجل
مسز سنودن
مستر فاريل
مس براون
لورا چيمس
جانت (الاب)
دكتور ماجوير
تاركنتون
مدام اليزابث
لوك جانت

المكـان : مدينة آلتمونت بولاية كارولينا الشمالية .

الزمان : خـريف عام ١٩١٦ .

الفصل الأول

المشهد الأول

نزل ديكسيلاند

منزل ذو بناء واه ، أقيم هيكله من الخشب . حجراته الخمس عشرة مختلفة الأحجام ، تعبث الريح بنوافذها . وللمنزل سقف هرمي كالسنام . ذو مظهر دائرى غير منسق ، مطلى بلون أصفر ردىء . ومعظم أثاثه من الطراز العتيق الذى اعتراه البلى الشديد . والأسرة من أعمدة حديدية غلفت بالميناء . وهناك مشجب ذو شعب علقت عليه قبعات ، ومرايا متصدعة ، ونبات متناثر هنا وهناك . وفى الشرفة التى تحمل طابع شرفات ولايات الجنوب التى تكتنف واجهة المنزل وأحد جوانبه ، توجد كراسى ثابتة ، وأخرى « هزازة » ، وصندوق خشبى . وقد علقت فوق الباب لافتة تضاء ليلا بالكهرباء كتب عليها : « ديكسيلاند — نزل للسكنى والأكل » . وفى الجزء الأوسط من المنزل ، الذى يرتفع قليلا عن بقية أجزاء المنزل ، توجد منصة حيث تجرى فيها مشاهد غرفة النوم . وخلف المنزل يقترب ممشى من مؤخرة الشرفة . وهناك باب جانبى يوجد بالقرب منه مقعد مستدير فى الردهة . وإلى أسفل الواجهة أيضا توجد منضدة وكرسى ويوحى منظر الشارع بوجود أشجار تحف به . وفى خلال المسرحية ، يعكر صفو السكون ، بين الفينة والفينة ، حفيف أوراق الخريف ، وعويل حاد صادر عن صفير قطار .

يرتفع ستار المسرح فى الظلام . وبعد برهة وجيزة يسمع صوت يوجين قادما من غرفته . ثم يجلس ، وظهره الى النظارة ، فلا يكاد يرى وقد انكب علـــى الكتابة ، وأحاطت به الكتب من كل جانب .

يوجين : (وهو يقرأ) .

« بن ، ليوجين جانت ... »

... وجه أخى يشبه قطعة عاج شاحبة الاصفرار .

(ترتفع الأضــواء عـــلى الشرفة حيث يجلس بن جانت على الدرج الأمامى يقرأ أحدى الصحف . وبن جانت فى الثلاثين من عمره ، رقيق الطبع ، مرهف الحس ، وهو أكثر أفراد أسرة جانت دماثة خلق ، فهو دائما غريب بينهم ، وفى بعض الأحيــان يكــون عبوسا فظا . بيد أنه البطل الصنديد الذى يستجير به أولئك الذين ينزلون من قلبه منزلة الحب . وقد أوتى قدرة على أن يعمل فى صمت . وله بالبيت شغف أصيل . وهو أحيانا يلتفت جانبا ويتحدث باهتمام، كما لو كان يخاطب شخصا مألوفا ولكنه غير منظور).

فجبهته العالية الواضحة كأنها جبهة رجل كهل قد زوى ما بين عينيه .

وفمه يشبه السكين الحاد ...

وابتسامته كومضة ضوء يعكسها نصل لامع .

هكذا تبدو قسمات وجهه حادة مثل النصل أو السكين ، أو الومضة المضيئة .

وهو عندما يثبت أصابعه البيضاء اليابسة .

وعينيه العابستين على شىء يريده ،

نراه يركز عليه كل ذاته واهتمامه .

(تكشف الأضواء عن مارى بيرت التى يطلقون
عليها « البدينة » وقد جلست بجوار بن فى مقعدها
« الهزاز » . وهى امرأة فى الثالثة والأربعين من عمرها،
سمحة ، تميل قليلا الى احتساء الخمر ، وقد أخذت
تصنع زوجا من جوارب الرجال من أشغال الأبرة
وهى ترمق بن بنظرة تنم عن عطف) .

ولوجهه المدبب ، المنتفخ ، المتجهم دائما . . .
حينما تنظر اليه النساء ، تتفجر بين جوانبهن ينابيع
الحنان .

(يوجين يستمر فى الكتابة)

بن : لابد للألمان من أحد يطردهم من سماء انجلترا .
ولا يستطيع أحد أن يتوقع من انجلترا العجوز المسكينة
أن تقوم بهذا وحدها .

مسز بيرت : انه مأزقهم ، أليس كذلك ؟

بن : تقول الصحيفة أن هناك فصيلة من رجال الطيران
الأمريكى فى سبيلها الى التكوين فى كندا .

مسز بيرت : فيم تفكر يا بن جانت ؟

بن : لقد قضيت طيلة حياتى فى هذه البلدة الصغيرة ـ أيتها
(البدينة) ! أود أن أسهم بدورى فى هذه المعركة ، فضلا
عن رحيلى من هنا .

مسز بيرت : وهل سيعدونك كبير السن ؟

بن : فى هذه المقالة انهم سوف يقبلون من تتراوح أعمارهم بين
الثامنة عشرة والثانية والثلاثين .

مسز بيرت : الا ترى أنهم سيقبلون من كانت أجسامهم ذات مستوى
صحى عال للغاية ؟

بن : أتسمع ما تقول ! انى فى حالة طيبة !

مسز بيرت : انك أقل من الوزن المطلوب بعشرين رطلا ! فما رأيت مثلك من قبل من يدير وجهه عن الطعام .

ين : لقد فحصنى الدكتور ماجوير فحصا عاما دقيقا هذا الربيع !

مسز بيرت : وكيف سيكون شعور أسرتك ، لو أنك رحلت ؟

ين : أية أسرة ؟ هل تقصدين هؤلاء النزلاء أشباه الخفافيش ؟. معذرة ـ أيتها « البدينة » فما كنت أعتبرك فى عدادهم . ما من أحد سوى چين يعرف أنى سوف أرحل ، كى أحلق

(يتطلع الى أعلى ، حالما)

هنالك فى عالم السماء العجيب ، هنالك مع الملائكة .

(تدخل هيلين جانت وزوجها هيو من المنزل ، وهى فتاة ذات قوام نحيل ، هزيلة الجسم ، فى منتصف العشرين من عمرها ، غالبا ما تكون عصبية المزاج ، عنيفة ، ثائرة ، إلا تحسن التصرف فى الأمور ؛ وان كانت تحمل فى قرارة نفسها طبعا سمحا ، كما تكمن فى نفسها ثورة هستيرية تراودها من حين لآخر . ومن الضرورى لها ، من الناحيتين الروحيةوالجسمية، أن تستنفد كل قواها فى خدمة الآخرين ؛ على الرغم من كثرة شكواها وبخاصة من خدمتها أمها .

أما هيو فيعمل بائعا لآلات تسجيل النقد ، وهو رجل ساذج ، سليم الطوية ، طيب المعشر ، ودود للغاية . يدخل حاملا صينية عليها ابريق قهوة وأقداح وأطباق فتساعده هيلين على وضعها فوق المائدة ، ويبدو أنهما كانا فى جدال قبل دخولهما)

هيو : ما كان لنا مطلقا أن نقبل العيش فى هذا المكان يوماواحدا ـ هذا هو ردى عليك . أنك تستنزفين كل طاقتك !! ـ لاى شىء ؟.

هيلـــين : أوشك النزلاء الآخرون ـ يا مسز بيرت ـ أن يفرغوا من عشائهم . !

مسز بيرت : ماذا ستقدمين لهم من حلوى ـ يا هيلين ؟ .

هيلـــين : (بودنج)

هيـــــو : كأني بهم أطفال فى بطونهم دودة شريطية .

بن : أما قلت لك ـ أيتها البدينة ـ أنه من الخير لك أن تدخلى!

مسز بيرت كنت دائما أحاول الاستغناء عنها ، ولكننى أخشى ألا أستطيع مقاومة اغرائها ، سأراك فيما بعد ، يا بن ؟

هيلـــين أين أمى ، يا بن ؟

بن : من أين لى أن أعرف ؟

هيلـــين : لا مفر لى من أن أقوم بمفردى بكل ما يتطلبه رفع المائدة!

هيـــــو : أنظرى الى .. ثقــوب فى جواربى ، وهذا زر ناقص فى (البنطلون) ـ وقد اشتهرت « بالأنيق » قبل اقترانى بك .

هيلـــين : أراهن أنها خرجت مع عمى ويل الى مكان ما ، وتركتنى فى المطبخ لأشقى مع جمع من النزلاء التافهين تلك هى خطتها البارعة !

هيـــــو : حينما تزوجنا أطلقت على الصحيفة «هيو بارتون الأنيق»!

هيلـــين : أنت تعلم ذلك ، أليس كذلك ؟ وهل أسمعتنى قط كلمة شكر ؟ ألا أظفر منها ـ ألا أظفر منها بأكثر من قولها : « لتذهبى الى الجحيم جزاء لى ؟ » كلا . ولســوف تقول لى : « تبا لك ، يا طفلتى ، لماذا ؟ ألست أكد وأكدح أكثر من أى شخص آخر ! » هكذا تفعل دائما فلتحل عليها اللعنـــة .

النزلاء :
(يصيحون خارج المسرح ، ويدقون جرس الخدم).

هيلين . هيلين .

هيلين : هلا دخلت يا هيو ، لتعاونني ؟

(هيلين تخرج الى المنزل)

بن : كيف حال بيع آلات تسجيل النقد ــ ياهيو ؟

هيو : أصبح حفظ النقود فى صناديق السيجار أمرا لا يصلح . لقد كثر الطلب من مدينة « رالى » فى الأسبوع الماضى ، لدرجة أننى أودعت جانبا تسعمائة دولار لحساب منزل صغير سنشتريه .

بن : ينبغى أن يكون لكما منزل ، يا هيو . انت وهيلين .

هيو :

(ينظر الى أحد جوانب الجريدة)

اكبر الظن أنه ليس هناك ما يدعو الى الاعلان عن الوظائف الكبيرة ، أم ماذا ترى ؟ هل لهم أن يفعلوا ؟ أن الوظائف الكبرى حقا لا يعلن عنها فى الصحف ، أليس كذلك ؟

بن : لماذا ؟

هيو : اذا كان هناك عمل يدعو الى الاقامة فى المدينة ..... لا التنقل من مكان الى آخر .. ربما استطعت أن أتحدث مع هيلين فى أمر الانتقال من هنا . بن ، أنت تحيط بكل ما ينشر فى الصحيفة ــ

هيلين :

(منادية من الخارج)

هيو ! هيو !

بن : كلى آذان ، تحدث ياهيو .

هيـــو : حسـنا ، أظن أننى لا أود أن أثير ثائرة هيلين أكثر من هذا شكرا لك ، يا بن .

(هيو يخرج . يسمع صوت سيارة خارج المسرح ، وهى تسير ثم تتوقف . ينزل بن الى مقعد فى ردهة البيت ، ثم يقرأ صحيفته. يسمع صوت بابالسيارة يغلق بعنف) .

الـــزا :

(من الخارج)

أقسم انى لم أر رجلا كهذا من قبل . ما أقل ما نملك ، على أن أكافح غاية ما أبلغ من جهد ، غاية ما أبلغ من جهد !

(تدخل الزا جانت مع شقيقها ويل بنتلاند . والزا فى السابعة والخمسين من عمرها من أرومة اسكتلندية، لها ما للأسكتلنديات من خصائص الميل الى جمع المال واكتنازه ، والحذر الذى يفوق كل وصف . وهى امرأة سريعة التقلب ، لا تستقر عـلى حال ؛ لا حد لحيويتها ونشـاطها ، ولا الجشعها وحبها . ولالزا طريقة مستهجنة فى الحديث ، فهى تزمشفتيها، ومن لوازمها أن تستخدم يدها اليمنى تحركها كأنما تشير بها ، وتضم قبضـة يدها ثم تبسـط سبابتها وكثيرا ما يقوم بتقليدها المحبـون والمبغضـون على السواء . تدخل ألزا حاملة بعضأوراقالخريف ونشره عن عقار . أما ويل فيعمل سمسارا ناجحا للمقارات، وهو رجل بدين الجسم . يدخلان ولا يلحظان بن .)

الـــزا : هناك ــ كما يقولون ــ حماقة أكثر من حماقة الرجـل الكهل . لقد كان مستر جانت ، طبعا ، أحمق طيلة حياته ! تبا له ، لولا أننى كنت أقوم بتدبير شئونه طوال هذه السنين ، لما كان لنا ما نستطيع أن ندعى ملكيته .

ويـــل : كان لابد لك من زوج فنان .

الـــزا : فنان ! ان لى رأيا فى ذلك . ولماذا ـ يا ويل ـ ان النقود التى يبعثرها ذلك الرجل كل عام على الخمر وحدها ، كفيلة بأن يشترى بها أجود أنواع العقار فى هذه المدينة ، فضلا عن تسديد ثمن هذا المكان . كان فى وسـعنا أن نصبح الآن من أصحاب الثراء العريض لو أننا كنا قد شرعنا فى هذا منذ البداية الأولى .

ويـــل : لقد أتحت له كل فرصة .

الـــزا : كان يمقت دائما فكرة ملكية أى شىء ـ لم يكن ليطيقها ، فقد أنبأنى ذات مرة أن تلك الكراهيـة نجمت بسبب ما حاق بتجارته من خسارة فادحة عندما كان شابا فى مدينة « بنسلفانيا » . لو أننى كنت متزوجة به حينئذ ، لكان فى مقدورك أن تراهن بآخر دولار معك على أن آية خسارة ما كانت لتلحق به .

ويـــل : أو لكانت خسارته قد لحقت به من ناحية أخرى ؟

الـــزا : نكتة حلوة ! أنت تعرفنا نحن آل بنتلاند ! حسنا سأتحدث الى مستر جانت اليوم عن ذلك العرض الـذى عرضـه البنـك .

ويـــل : دعينى أعرف عندما تكونين قد أثرت اهتمـامه بالأمر . عندئذ أستطيع أن أتحدث اليه فى هذا الشأن .

الـــزا : سيكلفنى هذا الأمر الكثير من العناء ، فهو عنيد لدرجة يلام عليها عندما يثار موضوع ساحة الرخام الثمينـة العتيقة ، وعلى الرغم من هذا فانى سأثير هذا الموضوع!

ويـــل : أبلغينى عندما ترتدين مشاهدة تلك المزرعة . سـوف أوصلك الى هناك .

السـزا : شكرا يا ويل ! أنا أقدر خدماتك !

(ويل يخرج . الزا تدلف الى داخل النزل ، فترى بن) .

بن ! ماذا تفعل هذه الساعة فى المنزل ؟

بن : أنا أعمل بعد ظهر كل يوم هذا الأسبوع .

السـزا : أوه .

(فى شيء من القلق)

هل ستتناول عشاءك فى المدينة ؟

بن : هذا ما أفعله عادة .

السـزا : أنت تبدو دائما ضجرا منى ، يا بن ؟ . لم ذلك ؟ انك لا تكاد تنظر الى . وأنت تعلم أننى لا أستطيع أن أطيق أحدا يدير وجهه عنى عندما أتحدث اليه ـ ألست بخير ؟

بن : انى لعلى خير ما يرام .

(يسمع صفير قطار على بعد) .

السـزا : أوه ! تبا له ، ها هو ذا قطار الثانية عشرة ظهرا قد وصل الآن ! ألم يتوجه يوچين الى المحطة ؟

بن : كيف لى أن أعرف ؟

السـزا :

(تصيح منادية نحو غرفة يوچين) .

يوچين ؟ هل أنت هناك فى غرفتك ؟

(ينهض يوچين جانت من مقعده عند سماعه صوت أمه . ثم يتجه الى النافذة ، ولكنه لا يرد عليها ، فلا تبصره الزا . ويوچين هو أصغر أفراد أسرة جانت ، فى السابعة عشرة من عمره ، طويل القامة ، أخرق الطبع ، متعطش الى المعرفة والحب . يترك غرفته فى أثناء الحوار التالى) .

يوچين ! يا لهذا الغلام • عندما أكون فى حاجة اليه •••

(تلحظ مسز بيرت وهى تعمل بأشغال الأبرة) .

بن ، آمل ألا تكون قد استلقيت هنا مضيعا وقتك مرة ثانية مع مسز بيرت هذه .

بن : استمع الى ما تقول ! انه لأسعد وقت ذلك الذى أقضيه معهـا .

الـــزا : ليس هذا شيئا مســـتحبا ، يا بن . ماذا يظن النزلاء الآخرون ؟ امرأة فى سنها ... امرأة سكيرة...متزوجة. ألا تستطيع أن تعثر على فتاة جميلة غير متزوجة لتكون معها ؟ أنا لا أستطيع فهم هذا . أنت أكثر أبنائى ملاحة ووسامة .

بن :

(وقد ازداد سروره) .

اذا كان هذا مما يبعث السرور الى قلبـــك ، يا أمى ، فسأفعل .

(تبتسم الزا وقد شعرت بارتياح لما طرأ على حالته من تغير . تلحظ أيضا الجريدة الملقاة) .

الـــزا : هذه جريدة مستر كلات . أنت تعلم انه يحرص على ألا يقرأها أحد قبله . أطوها قبل ذهابك .

(يشاهد يوچين فى أثناء هذا الحوار هابطا السلم من غرفته . يأخـذ فى التســلل خارجا من الباب الجانبى،وهو يعرج عرجا خفيفا ، غير أن الزا ترمقة) .

الـــزا : يوچين ، الى أين تتسلل ؟ تعال هنا .

يوچـين :

(يخرج اليها) .

نعم ، يا أماه ؟

السـزا : ها قد وصل القطار لتوه . فلتسرع الآن الى المحطة .

يوچـين : اليوم ! لقد قمت بهذا البارحة .

السـزا : فلتقم به كل يوم حتى تمتلىء جميع الغرف . بطاقات الاعلان على المنضدة فى الردهة . اذهب وهاتها .

(يذهب يوچين ممتعضا الى الردهة الأمامية ليأتى بالبطاقات من فوق حامل صغير . تنزع ألزا بعض اوراق الخريف الذابلة من نبات) .

انى لأجاهر بالقول ، ان السابعة عشرة هى السن التى لا يسلس أبدا قيادها . لست أدرى لم يشكو هذا الغلام . ليس لديه عمل آخر سوى هذا يقوم به ، ثم قضـاء وقته عابثا بقلمه ، أو حائرا فى أحلامه .

بن : النزل الآخر تبعث بحماليها كى تستقبل القطارات .

السـزا : لا تلق بالا الى هذا ــ يا بن جانت ــ فقد كنت معتـادا القيام بهذا العمل من قبل . انه لشىء قليل ذلك الذى أطلبه منكم أيها الأولاد .

(مخاطبة يوچين عند دخوله من القاعة) .

هل أتيت بالبطاقات ؟

يوچـين : انها فى جيبى .

السـزا :

(مادة يدها) .

دعنى أرها . دعنى أرها !

يوچـين :

(يخرج بطاقات من جيبه ، ثم يقرؤها) .

« أقم فى نزل ديكسيلاند بآلتمونت ، تشـعر كأنك فى بيتك » . ــ لابد أن تشعر فيه كأنك فى بيتك .

السزا : يوچين !

يوچين : انى أمقت أن أملأ الدنيا طبلا وزمرا من أجل التجارة . هذا احتيال واستجداء .

السزا : نعم نعم . . . ، أيها الحالم يوجين جانت ، فيم تظن العالم يسعى وراءه ؟ نحن جميعا . . جميعا نبيع شيئا ما . فلتذهب الى القطار حالا فى هذه اللحظة . وبحق السماء ، كن أنيقا ، أيها الغلام وأشدد قامتك كأنك ذو مكانة !

(يوچين ينصرف) .

ابتسم ! كن بشوشا !

(يوچين يبتسم كالمخبول) .

بن : چين ! لم تسير هكذا ؟

يوچين : هكذا . . . كيف ؟

بن : (ناهضا) لم تعرج برجلك ؟ يا الهى ، هذه هى أحذيتى التى تلبسها ! لقد ألقيت بها بالأمس !

السزا : انها تكاد تحمل طابع الجدة .

بن : انها ضيقة جدا على قدمى ، لابد أنها ستقضى عليهما .

يوچين : بن ، على مهلك !

السزا : ربما تكون من الثراء بحيث يسمح لك أن تلقى بأحذية جديدة .

بن : أماه ، بحق السماء ، أنت تطلبين منه أن يسير معتدل القامة ، كيف يتسنى له ذلك ؟ لابد أن أصابع قدميه قد أصبحت كلفائف الشطائر الملحة !

يوجين : انها على ما يرام . سوف أعتادها .

بن :
(ملقيا بصحيفته) .
يا الهى ، أى عار ، أن تبعثى به الى الشوارع كأنما هو رجل أجير ... كان ينبغى لچين أن يكون فى نفس هذا القطار ، ذاهبا الى المدرسة !

الـــزا : كفى ... لتكف عن هذا الموضوع ! فأنت يا بن جانت لا تعول أسرة كما أفعل أنا ! لا أريد الآن سماع كلمة اخرى عن هذا الموضوع ! سوف يلتحق چين بالمدرسة عندما نستطيع ذلك . أما هذا العام ففى استطاعته أن يعاون أباه فى الحانوت .

بن : ظننت أنك ستثيرين اهتمام أبى ، كى يبيع الحانوت .

الـــزا : بن جانت ، ما كان ينبغى أن يصل هـذا الموضوع الى مسمعك . سأقدر صنيعك لو أنك لا تذكر عنه شيئا الى مستر جانت حتى أقوم أنا بذلك . هيا ـ يابنى ـ فلتسرع الآن ، وأتنا بنزيل !

يوچين : ولم ينبغى لأبى أن يبيع حانوته ؟

الـــزا : أنت الآن من حداثة السن بحيث لاينبغى لك أن تشغل بالك بشئونى . فلتهتم أنت بعملك .

يوچين : وما هو عملى الذى يجب على أن أهتم به ، يا أمى ؟

الـــزا : حسنا ، قم بعملك ، عاون أباك فى الحانوت .

يوچين : لا أريد أن أكون نحاتا .

الـــزا : حسنا ، عد الى بيع الصحف أو اشتغل مع عمك ويل فى مكتبه لبيع العقارات . لكن لا تكن ـ أيها الطفل ـ بطيئا متثاقلا . فلتسرع الآن والا تأخرت !

هيلــين :

(وهى تدخل) .

أماه ، كاد النزلاء أن ينتهوا من العشاء ! أنا لست أمة تباع وتشترى !

الــــزا : هأنذى قادمة حالا ، يا هيلين .

(هيلين تنصرف ، مغلقة الباب بعنف . الزا تتنهد واذ تترك وحـدها مع بن برهة قليلة ، تعـود الى ما جبلت عليه نفسها من قلق) .

ماذا دهاه ــ يا بن ؟ ماذا أصاب ذلك الغلام ؟ ماذا دهاكم جميعا ، يقينا أننى لست أدرى . لكننى أقول لكم ، اذ ينتابنى الفزع أحيانا ، يبدو كأن كل واحد منكم يسعى وراء شىء ما ، ثم لا يلبث أن يتبرم به ، فيبغى شـــيئا آخر . بيد أن هذه الحال لا يمكن أن تدوم . أن بيتـــا منقسما على نفسه لا تقوم له قائمة . انى لأقسم ، أننى لا أعرف الى أين نحن جميعا مسوقون .

(تقترب من الباب الجانبى ، ثم تتوقف) .

لم لا تتناول طعامك بالمنزل ما دمت أنت فيه ، اذا كنت ترغب ؟ فلتجرب مرة . أنا واثقة أن هنـــاك الكثير من الطعام قد تخلف من العشاء .

بن : كلا ، شكرا يا أماه .

(يخرج) .

الــــزا : وجبة ساخنة طيبة !

بن : يجب أن أذهب الى هناك .

الــــزا : بن ، هل أنت واثق أنك بخير ؟

بن : انى على ما يرام .

الــــزا : حسنا ، فليطب يومك مع عملك بالصحيفة ، يا بن .

(يخــرج بن ، تتبعه الزا بنظرها . ثم تدلف خــارج البيت من الباب الجانبى عند سماعها أصوات النزلاء . النزلاء يدخلون من الباب الأمامى تتقدمهم هيلين وهم : چاك كلات ، وهو فى الثلاثين من عمره ، جلف متغطرس ، مسز كلات ، وهى والدة كلات ، فى الستين من عمرها ، ذات ابتسامة جافة ، وشعر مصبوغ . وهى امرأة صماء ، تسير حاملة عصا ،

فلورى مانجيل ، فى التاسعة والعشرين ، مليئة بالأفكار ، عابسة ، مولعة بچاك ،

مسز سنودن ، وهى فى الخمســين من عمرها ، هادئة الطبع ، لا تميل الى التطفل على غيرها ، وهى فى عزلة عن الآخرين ،

مسز براون ، فى السادسة والثلاثين من عمرها ، متأنقة وان كان لها مظهر النسوة الساقطات ،

مستر فاريل ، فى الستين من عمره ، وهو معلم رقص متقاعد ، ونزيل جديد فى ديكسيلاند) .

مسز كلات : مرة أخرى أسرفت فى الطعام .

هيلــين :

(مخاطبة مسز كلات بصوت مرتفع) .

أرجو أن تتفضلى القهوة ــ يا مسز كلات . ليس عندى اليوم من الخدم من يقدمها اليك .

مسز كلات :

(ملوحة بعصاها الى مستر فاريل الذى كان على وشك الجلوس) .

لا تجلس هنا ، هذا معقدى . لقد خلا ذلك المقعد منذ غادرنا معلم المدرسة .

مس براون : وأنت أيضا معلم ، أليس كذلك يامستر فاريل ؟

مستر فاريل : معلم رقص . . . متقاعد .

مس براون : آمل أن تبقى معنا قليلا . من أين أتيت ؟

مستر فاريل : من مدينة « تامبا » .

مس براون : هل تعرف رقصة « كاسل ووك » يا مستر فاريل ؟ أود أن أتعلمها ؟

(يتجولان هابطين الى مقعد بالردهة) .

مسز كلات : لا أدرى من أى شىء صنعت مسز جانت هذه القهوة . لم يعرف بن مثل هذا المذاق .

چاك : الا يمكنك ـ يا هيلين ـ أن تصنعى لنا القهوة مرة ؟

هيلين : والدتى هى التى تقوم بصنع القهوة دائما هنا .

(هيو ومسز بيرت يدخلان . النزلاء الآخرون يجلسون) .

مسز بيرت : كانت حلوى شهية ، ولكن يا للأسف !

(تجلس فى مقعدها « الهزاز ») .

چاك : نعم ، كانت حلوى شهية ، لو أنهم قدموا منها كمية أكبر .

مسز كلات : لقد قيل لى أن أحسن نزل يقدم فيه طعام فى هذه المدينة يوجد فى ذلك الشارع عند مسز هاسكيل .

چاك : هذا صحيح ، يا أماه . ذلك ما سمعته .

هيـــو : اذن فلتنتقلوا الى نزل مسز هاسكيل !

هيلـين :

(تدفعه) .

هيـــو :

(تخرج) .

مس مانجيل : لقد قضيت فيه فصلا من السنة ، غير أننى أفضل البقاء هنا لكثرة المسامرة فيه ولبعده عن التكلف والرسميات.

چـــاك : لم يعد الأمر كذلك فى الأيام الأخيرة . فقد مضى أكثر من شهر منذ أضطرت مسز جانت الى طرد مستر مولاسيس ادواردز واثنين من اهل الجنوب كانا موسيقيين متجولين، بسبب عجزهم عن دفع الايجار . وما من شـــك أنها مشغوفة برؤية رجال الشرطة وقد احتشدوا فى هـذا المكان !

(لورا چيمس تدخل حاملة حقيبة ملابس ، وبطاقة أعلان عن نزل ديكسـيلاند . وهى فتـاة فى الثالثة والعشرين من عمرها ، جذابة ، وأن كانت غيرجميلة. تتقدم نحو الدرج) .

مس مانجيل : ألا تفضل هذا المكان ؟

چـــاك : انا أحب المواقف المثيرة ــ ولم لا ؟

مس مانجيل : تعنى ما يثير الآخرين . الا تحب أن يكون لك ما يثيرك أنت ؟ ــ أنا أحب هذا .

(تبصر مسز كلات لورا ، فتلكز ابنهـا مسـترعية انتباهه) .

لـــورا : طاب مساؤك !

هيـــو :

(عابرا اليها) .

طاب مساؤك !

لـــــورا : هل صاحبة النزل هنا ؟

هيـــــو : سأستدعيها .

(يناديها فى الداخل) .

مسز جانت ! هاك نزيلة !

(مخاطبا لورا) .

أرجوك أن تصعدى .

(واثبا الى لورا) .

دعينى أحمل عنك هذه الحقيبة . لابد أنها ثقيلة عليك .

لـــــورا : أشـــكرك .

(يأخذ جيك حقيبة لورا . النزلاء الآخرون يتفحصون النزيلة الجديدة ، ثم يتهامســــون . تدخل الزا مرتدية ميدعة « مريلة » ، فتضع أوراقا فى آنية فوق المنضدة الموجودة بالقاعة . ولأول لمحة ، يخالجها شك فى أن لورا ، وهى شابة تختلف عن الأخريات ، قد تكون النزيل الذى تعلق عليه الآمال) .

الـــــزا : نعـــم ؟

لـــــورا : هل أنت صاحبة النزل ؟

الـــــزا : أجل . أنا صاحبته مسز جانت .

لـــــورا : وجدت هذه البطاقة على جانب الطريق .

الـــــزا :

(تأخذ البطاقة) .

على جانب الطريق ! وأنت تبحثين عن غرفة ؟

لـــــورا : اذا كانت لديك واحدة لى .

الـــــزا : طبعا عندى غرفة لك ، يا عزيزتى ــ غرفة جميلة هادئة . حسبك أن تجلسى هنا وتفضلى قدحا من القهوة اللذيذة التى أصنعها بنفسى ، وسأذهب وأقوم بتهويتها حتى أستطيع أن أريها لك . هيو ، اعتن بالسيدة الشابة . هذا هو مستر بارتون زوج ابنتى .

لـــورا : كيف حالك ، يا مستر بارتون ؟ أنا لورا چيمس .

الـــــزا : لورا ــ يا له من اسم اسكتلندى بديع . هــــل أنت اسكتلندية الأصل ؟

لـــورا : من ناحية أحد الوالدين .

الـــــزا : تبا لى ! كان ينبغى لى أن أعرف أنك اسكتلندية لحظة أن وقعت فيها عيناى عليك . أنا اسكتلندية كذلك . حسنا ، أليس هذا شيئا جميلا ؟

(تقوم بتقديمها الى النزلاء) .

مس چيمس ، مستر كلات ...

(يتقبل كل منهم تقديمها اليه حسب شخصيته) .

... والدته مسز كلات ، مسز سنودن ، مس ما نجيل ، مستر فاريل ،

(تلحظ فى استنكار مس براون جالسة مع مستر فاريل) .

... مس براون ... مس براون ! ومسز بيرت . من أين أنت قادمة ، يا عزيزتى ؟

لـــورا : انى أعيش فى مدينة ريتشموند .

(تخرج مس براون ومستر فاريل يتدربان على رقصة كاسل ووك » ويعودان الى الظهور من حين لآخر فى مؤخرة الشرفة) .

السـزا : ريتشموند ! يا لها من مدينة بديعة ، الا أن جوها حار ! على عكس الجو هنا ، فهو رطب منعش فى هذه التلال . أنت لم تأتى الى آلتمونت من أجل العلاج ، أليس كذلك يا عزيزتى ؟

لـورا : أنا فى صحة جيدة ، اذا كان هذا ما تقصدين . غير أننى فى حاجة الى الراحة بعد عناء العمل الشاق .

(يقترب هيو حاملا القهوة) .

السـزا : ها هى ذى قهوتك .

لـورا :

(تتناول القهوة) .

أشكرك ــ يا مستر بارتون ــ ما هى أسعارك ، يا مسز جانت ؟

يوچـين :

(من بعيد) .

أماه ! أماه ؟

(يوچين يجـرى فى المشى الخلفى الذى يحيط بالشرفة) .

ويـل : أرى أن تشاهدى الفرقة أولا .

يوچـين : أماه !

السـزا : يا للعجب ، هذا الطفل اما أن يدب فى الأرض كالقوقعة أو يسرع كعربة المطافى ..

يوچـين :

(يجذب الزا بعيدا عن الآخرين) .

هل أستطيع التحدث اليك ، يا أماه ؟

الــــزا : اراك لا تعرج الآن ، عندما لا تحاول أن تستدر العطف عليك . لا تحسب انى لا أعرف ألاعيبك الصغيرة كى . . .

يوچـين : (فى الحاح) .

أماه ، لقد ذهب أبى من جـديد الى حانة لوجران . وهـذا هو الدكتور ماجوير يحـاول الآن أن يسوقه الى البيت .

الــــزا :

(تجمد فى مكانها لحظة كأنما قد أصابتها طعنة) .

الدكتور ؟ هل هو مريض أم مخمور ؟

يوچـين : انه يصيح بصوت يشق عنان السماء ! انه مخيف . لقد ركل عمى ويل ثانية !

(تسمع أصوات شغب تقترب خارج المسرح . جانت يصرخ من حين لآخر كأنه ثور هائج ، أطفال يغنون « ها قد عاد جانت الكهل الى بيته مخمورا » ، كلب يأخذ فى النباح الخ . . .)

الــــزا : لا أظن أن فى وسعى تحمل هذا ثانية ، وفى حضرة نزيلة شابة جديدة أيضا .

(يستدير يوچين فيبصر لورا ، التى كانت قد سمعت مع النزلاء الآخرين صوت جانت وهو يدلو) .

أوه يا يوچين ، لم يأتون به دائمـا الى البيت ؟ فليودعوه أحد ملاجىء الحكومة ، أو فليلق به فى بالوعة ، لم أعد أعبأ . ترى ماذا عساى أن أفعل أكثر مما فعلت . ماذا أفعل ، يابنى ؟

يوچـين : على الأقل قد انقضى عليه شهر هذه المرة .

جانت : أعزب عن وجهى ! أيها الأفاق الصعلوك !

چاك كلات : يا الهى ، لقد انطلق مستر جانت يعربد ثانية !

مس مانجيل : يا الهى ، يا الهى .

مسز كلات : ماذا ؟ ما هذا ؟

چاك كلات :

(صائحا)

لقد انطلق الرجل المسن يعربد ثانية !

يوچين :

(يصعد الى النزلاء مجتازا المكان) .

هل تتفضلون جميعا بالدخول ، اذا سمحتم !

مسز كلات : أنا لم أفرغ بعد من شرب قهوتى .

يوچين : تستطيعين الانتظار فى القاعة ، من فضلك ، حتى نصعد به الى الطابق الثانى !

چاك كلات : ويفوتنا هذا المشهد ؟

مس براون : هيا بنا ، يا مستر فاريل . دعنا نفسح المكان لهذا الهرم .

مستر فاريل : هل من مساعدة أستطيع أن أقدمها ؟

مس براون : لا أنصحك بذلك ، يا مستر فاريل .

چاك كلات : أنظر اليه ، انه حقا عبوس متجهم هذه المرة !

(يدفع يوچين بعض النزلاء الى الداخل ، حيث يكتظ بهم ممر الردهة . يبقى چاك ومسز كلات فى الدهليز . أما لورا ، فقد بقيت مع هيو فى الخارج، اذ لم تعرف الى أين تذهب) .

جانت :

(وهو يخور كالثور فى الخارج) .

أيها الأفاقون الصعاليك ! أيها الأفاقون الصعاليك ! أنتم الداء ، لستم أحباء ! لا تدفعونى ! أغربوا عن وجهى !

(من الخارج) .

حسنا ، اذن ــ يا جانت ــ اذا كان فى قدرتك أن تمشى ، فلتمش !

(تقف الزا تحت المنصة بالمسرح ، معتدلة القامة فى صلابة . ومستر W. O. Gant فى الستين من عمره ، يحدث صوت قعقعة عند صعوده الدرج الخلفى ، تتهاوى ذراعاه ، ويترنح بجسمه القوى ، ثم يدور حول نفسه فى غير اتزان . وهو فى قرارة نفسه يعتقد أنه موسيقار موهوب قد تجول كثيرا هنا وهناك، بيد أنه قد هوى بحياته بسبب اباحيته وادمانه الخمر . وهو على الرغم من هذا ، مازال فيه تشبث عنيد بالحياة . يدخل المسرح وقد صحبه الدكتور ماجوير ، وهو خشن الطبع ولكنه يحمل قلبا عطوفا ويصحبه أيضا تاركنجتون ، رفيق السوء ، وكان مخمورا ولكنه متمالك لنفسه ، وكذلك ويل بنتلاند).

ها نحن أولاء قد وصلنا ــ يا جانت ــ لنذهب من الطريق الخلفى .

(يدفع جانت الطبيب جانبا ، فينطرح بطوله فى الشرفة ، وتتناثر المقاعد « الهزازة » ، وأوانى الأزهار ، الخ) .

جانت : أين أنت ؟ أين أنت ؟ ياسافلة السافلين ــ ياخنزيرة هذا النزل ! سبحانك أيها الرحيم ، ياللسخرية ! أتصل الأمور معى الى هذا !

يوجين : هيا ، يا أبى ، من فضلك .

(يوجين يحاول أن يمسك ذراع أبيه ، فيدفعه جانت ...)

جانت :

(بحركة كأنما يكتسح شيئا) .

« فلتصحوا أيها السادة والسيدات فى بشر وحبور .
فوق الجبل عندما يتنفس الصبح بعد السحور »
لا تدعنى أعكر صفو خلوتك القليلة . اذهب لتوك ،
تفضل !

(مسز كلات تصيح ، ثم تندفع الى القاعة) .

أتريدين نصيبا آخر من البطاطس المهروسة ـ يا مسز
كلات ؟ أأنت تودين أن تكونى أكثر بدانة .

(يوچين يحاول أن يمسك بذراعىوالده المتهاويتين ،
فيندفع نحو مسز بيرت فى مقعدها « الهزاز ») .

الــزا : مستر جانت ، يا للخجل ! يا للخجل !

جانت : منذا الذى يتكلم ؟

الــزا : ظننتك مريضا .

جانت : لست مريضا ، يا سيدتى . أنا فى سورة جامحة ، لقد
أعمانى الغضب .

(يرفع أحد المقاعد الى أعلى ، مهددا به الزا .
فيختطفه منه يوچين والطبيب) .

الــزا : أدخله الى المنزل ، يا دكتور ماجوير .
هيا ـ يا جانت ـ دعنى أساعدك .

جانت :

(يثب نازلا الدرج) .

لحظة واحدة ! أتظنون أنى لا أعرف بيتى عندما أبصره ؟
هذا ليس البيت الذى أعيش فيه . فانى أقيم فى المنزل
رقم ٩٢ فى شارع وودسون .

كان ذلك منذ بضع سنوات انقضت . هذا هو بيتك الآن ، يا جانت .

جانت : هذا الجرن ؟ هذا الجرن اللعــين ، الرهيب ، المهلك ، الملطخ بالدماء ـ أتسميه بيتا ! يا للجحيم !! كم من سخرية فى هذه الدنيا !

ويــــل : لم لا نحمله الى الداخل ؟

لا شأن لك بهذا ، يابنتلاند . فأنت الذىأثرت ثائرته .

جانت : بنتلاند ـ والآن اليك هذا اللقب !

(يدور حول نفسه ، باحثا عنه) .

أين أنت ـ يا ويل بنتلاند ؟

(يراه فيترنح متجها اليه) .

انت أفاق صعلوك ! وأبوك كان أفاقا صعلوكا . انه سارق جياد ، وقد نفذ فيه الاعدام شنقا فى الميدان العام .

(يوچين يأتى بقدح من القهـوة ، فى حين يمسك هيو بجانت) .

يوچــين : أبى ، ألا تحب قليلا من القهوة ؟ هاك قليلا منها .

جانت : هاه ! قليلا من القهوة التى تصنعها مسز جانت ؟

(يركل قدح القهوة فيتناثر) .

آه ! أريد قليلا من شراب « البربون » اللذيذ ، اذا كان لديك منه ، يابنى .

أحضر له الشراب ! لربما يفقده وعيه .

جانت : أريد الشراب !

(يوچين يسرع الى الداخل) .

الـــــزا : أنتما تعرفان ـ ياچين ، وأنت يا دكتور ماجوير ـ أنــه ليس ثمة قطرة من خمر فى هذا المنزل !

لــــورا : أنا عندى القليل منها .

(لورا تفتح حقيبــة يدها بسرعة ، فى حين يحدجها الجميع بأنظارهم ، ثم تخرج منها قارورة صغيرة،تعبر المكان الى الطبيب) .

أنا أحملها دائما معى فلربما يقع حادث للقطار .

جانت : حسنا ، ماذا نحن منتظرون ، دعنى آخذها !

(وهو يأخذ القنينة) .

يالله ، هذه القنينة لا تحتمل رشفة من فمه .

جانت :

ليكن ، هاتها !

(لورا ترتد الى الوراء فزعة ، هيلين تدخـل وقد تألق وجهها بعد أن شعرت بحاجتهم اليها) .

تستطيع أن تأخذها ــ يا جانت ــ لكن عليك أن تصعد بها الى الشرفة كى تحتسيها .

جانت : أيها الأفاقون الصعاليك ! أيها الغادرون اللئام ، يا أسفل السافلين ! لن أبرح هذا المكان حتى تعودوا بى الى بيتى . ألن يعود بى أحدكم الى بيتى ؟

هيلـين : أبى ! لم عدت الى الشراب مرة ثانية ، وأنت تعــلم أثر ذلك فيك ؟

جانت :

(يتهاوى ، فيستند عليها) .

هيلين ــ أشعر بألم هنا فى هذا المكان .

هيلـين : طبعا ، انك تشعر بألم . هيا الآن معى . سأضــعك فى فراشك ، ثم أحضر لك قليلا من الحساء .

(تتناول هيلين ذراع ذلك الرجل الضخم ، وتقوده الى الشرفة . يترك ما أحرزته هيلين من نجاح مع جانت اثرا بعيد الغور فى نفس الزا يبدو أثرة واضحا فى وجهها) .

جانت : على أن أجلس .

(يجلس على حافة الشرفة) .

أجلسى معى يا هيلين . أجلسى نتحدث . هل تودين أن تسمعى بعض أشعار كيتس ••• كيتس الرائع ؟

الــــزا :

(عابرة الشرفة فى غضب) .

لقد كانوا جميعا يتفرجون عليه الآن وهــــذا هو كل ما يبغيه .

يوجـين : انه مريض ، يا أماه !

الــــزا : اذا كنت تحس ألما ـ يا مستر جانت ـ فلم لا تسلك مسلكا حسنا وتدلف الى الداخــــل ؟ الجيران جميعهم يتفرجون عليك .

جانت :

(يغنى فى هياج شديد).

« ها قد عاد جانت الكهل الى بيته مخمورا . . .

(تاركنجنتون ينضم اليه) .

« ها قد عاد جانت الكهل الى بيته مخمورا . . . »

تاركنجتون :

(منشدا ، وملوحا بذراعية) .

« هاقد عاد جانت الكهل الى بيته مخمورا . . . » .

(يزول ابتهاجه عندما يرى الزا محدقة فيه) .

الــــزا : أكنت تحتسى الخمر معه أيضا ، يا مستر تاركنجتون ؟

تاركنجتون : يؤسفنى أن أقول ــ يا مسز جانت ــ ان كثيرا منا كان يحتسيها معه .

الـــــزا :

(تشد تاركنجتون فيثب على قدميه) .

لسوف أزج ب « تيم لوجران » فى السجن بسبب هذا .

تاركنجتون : لقد بدأ مسالما مثل ...

الـــــزا :

(تدفعه نحو باب الشرفة الخلفى) .

لقد أنذرته للمرة الأخيرة .

تاركنجتون : لم نشرب سوى الجعة !

الـــــزا : أخرج من بيتى !

(تاركنجتون يخرج . جانت يتأوه) .

هيلـين : ها هو ذا الدكتور ماجوير يعطيك شيئا يخفف به ألمك ، يا أبى .

جانت : أطباء ! انهم لصوص ومصاصو دماء ! لقد جاء فى مرثية الشاعر جراى « ان طرق المجد لا تؤدى الا الى القبر » . لا يكلفك الأمر الا سنتيمات أربعة فحسب عن الحرف الواحد يحفره أحسن نحات على أى شاهد ضريح تختاره! فهل من طلب ؟

(يتأوه فى ضعف من الألم) .

هذه أصابع الشيطان ! لا تدعيها تحطنى بين شقى الرحى . عدينى يا ابنتى . عدينى !

(هيلين تومىء برأسها . جانت يجر نفسه جرا فى صعوبة بالغة) .

جانت : « ما هو الا شحاذ لا أهل له ، تسمع خشخشة عظامه على الأحجار » .

يا الهى ، ها هو ذا قد وقف على قدميه ثانية !

يوچين : هيو ، دعنا ندخله المنزل .

جانت :

(متخلصا من هيو ويوجين) .

هأنذا ابصره ! هأنذا أبصره ! هل ترى شبح الرجل الأسمر ؟ ها هو ذا الجانى العبوس يقف هنا كما أعهده يفعل دائما . وهكذا جئت أخيرا كى تعود بالرجل الكهل الى بيته ؟ ـ رباه ، لتحل رحمتك على روحى !

(جانت يسقط على الأرض . يخيم صمت وهيب . يوچين ، والطبيب ، وهيو يندفعون اليه) .

الزا :

دكتور ماجوير ؟

(يتحسس الدكتور ماجوير قلب جانت) .

مسز جانت ، لقد أغمى عليه لتوه . هلموا أيها السادة ، دعونا نصعد به !

(يرفع هيو ، وويل ، وما جوير ، ويوچين الجسم الثقيل . يحملون جانت بسرعة الى الداخل . هيلين تتبعهم . تبدأ الزا فى جمع أقداح القهوة ، حزينة بائسة . لورا تلتقط حقيبة ملابسها وتهم بالخروج . تستدير الزا فتراها) .

الزا : أوه ـ يا مس چيمس ـ كنت أوشك أن أدعك تتفرجين على هذه الحجرة ، أليس كذلك ؟

لورا :

(تهمهم) .

الزا : أعتقد أنك ستستمتعين بهذا المكان . انه مكان هادىء ساكن ـ أوه ، ما من أحد يعير مستر جانت اهتماما . وأحب أن أقول لك ، ان أحداثا كهذه لا تقع عندنا كل يوم .

لـــورا : حسنا ، كم أجرة الغرفة ؟

الـــزا : تتراوح ما بين خمسة عشر وعشرين دولارا فى الأسبوع . بما فى ذلك الوجبات الثلاث ، والكهرباء والحمام . هل لك فى مشاهدتها ؟

لـــورا : كلا . أنا متأكدة من أنها ستكون على ما يرام .

الـــزا :

(تلتفت وراءها عندما تشرع فى الدخول) .

هذا ، والدفع مقدما .

(تفتح لورا حافظة نقودها ، وتخرج منه لفافة من أوراق النقد من فئة الدولار ، ثم تضعها ورقة ورقة فى يد الزا الممدودة اليها) .

لـــورا : واحد ، اثنين ، ثلاثة ـــ أنا أحتفظ دائما بنقودى من أوراق البنكنوت من فئة الدولار فان هذا يجعلنى أشعر أنها أكثر عددا مما هى .

الـــزا :

(وقد عاد اليها انشراحها) .

أوه ، أنا أعرف ما تعنين .

(يدخل مستر فاريل من الباب الجانبى حاملا حقيبة ملابسه وهو يأمل أن يتسلل خارجا) .

الـــزا :

(تراه بينما هى منهمكة فى عملية الدفع) .

مستر فاريل ! الى أين ذاهب ؟ مستر فاريل ، لقد دفعت مقدما أجر أسبوع !

(يشير مستر فاريل بحركات صامتة أنه لم يعد يحتمل ما يجرى فى هذا المنزل ، ويخرج) .

الـــزا : حسنا ، انهم يجيئون ويروحون . وهأنتذا هنا الآن ، أليس هذا رائعا ؟

لــــورا : ... تسعة ... عشرة ...

(بن يدخل من الاتجاه الآخر ، مسرعا) .

بن : لقد سمعت عن أبى ــ كيف حاله ؟

الـــــزا : انه مخمور . ويعتنى به الدكتور ماجوير الآن . هذه ــ يا بن ــ مس چيمس ... هذا هو ولدى ــ بن جانت .

بن :

(يومىء برأسه ، وقد أثارته نظراتها) .

لــــورا :

(تومىء برأسها ، وهى لا تكاد تنظر اليه) .

أربعة عشر ، خمسة عشر . هذا هو أجرك .

الـــــزا :

(تضع النقود فى صدر ردائها) .

أشكرك ياعزيزتى . نأمل أن تبقى يامس چيمس معنا فترة من الوقت .

ستصعدين معى ، يا عزيزتى . وتكونين مرتاحة مطمئنة .

(يدخلان) .

سوف أريك بقية المنزل فيما بعد .

لــــورا

(تلتفت عند مدخل الباب) .

أنا سعيدة بلقائك ، يا مستر جانت .

(ألزا ولورا تخرجان) .

بن

(محاكيا لورا فى عدم اهتمامها ، وهو يتناول قدحا من القهوة) .

أنا سعيدة بلقائك ، يا مستر جانت .

(يهز كتفيه ، يشرب القهوة . ويل يدخل من المنزل ، وما زال العرق يتصبب منه) .

ويــــل : أبوك هذا . هل تعرف أنه ركلنى ؟ لا أود أن أخبرك أين ركلني . لم لا تولونه عناية أكثر من ذلك ــ يا بن ؟ . . . هذا شأنكم أنتم ، أيها الأولاد ، من أجل والدتكم ــ ومن أجل نزل ديكسيلاند . لقد حذرتها منه . . . رجل أفاق كهذا ، وأرمل أيضـــا . لكن النساء لا يقبلن النصح ، وبخاصة اذا كان الأمر يتعلق بالحب والجنس .

(ينصرف ، ثم يتوقف) .

كان ينبغى لك أن تشكرنى على مساعدتى . وهذا ما لم يفعله أحد .

بن : أشكرك ، ياعمى ويل .

ويــــل : يالكم من حفنة تنكر الجميل ــ يا أبنـــاء جانت . أنت الوحيد بينهم الذى أوتى شيئا من ذوق .

(ويل ينصرف ، وبن يشعل سيجارة على حين يدخل يوچين) .

يوچــين : هل سمعت بما حدث ــ يابن ؟

بن : ما من أحد فى المدينة لم يسمع به .

يوچــين : فيم تتحدثون ؟ انى لا أفهم شيئا . هل لك أن تصف لى ما حدث ــ يابن ؟ لم يفعل هذا ؟

بن : كيف لى أن أعرف ؟

(يشرب قهوته) .

ألم ينته الدكتور ماجوير منه بعد ؟

يوچــين :

(مستاء غير مدرك لما كان يشغل بن من قبل) .

هل تذكر ــ يا بن ــ عندما اعتدنا أن نسير معا فى الصباح، وكنت تعرفنى الأماكن التى نحمل اليها الصحف . كم تحدثنا كثيرا !

بن : أتسمع ما يقول ! لقد كنا نتحدث .

يوچين : لم يقيم اذا كان يكره الحياة هنا الى هذا الحد ؟

بن : يالك من أحمق صغير ، كأنك سجنت فى صورة . . وجهك هناك ، ومهما بذلت من محاولات فلن تخرج من الصورة؟ فلا سبيل الى أن يخرج الانسان من جلده .

(الدكتور ما جويل يدخل) .

أغلق فاك الآن . مرحبا ــ يادكتور .

الدكتور ماجوير : من المؤكد أن شقيقتك تستطيع أن تجعل من ذلك الكبش العجوز حملا وديعا . والمضحك أن الناس يحبونه رغم هذا . وقد يكون ذلك لأنه رجل طيب حينما يكون فى وعيــــه .

بن : هل هو بخير ؟

الدكتور ماجوير : سيكون كذلك .

بن : هل أستطيع أن أتحدث اليك دقيقة واحــــدة فى امر يخصنى ؟ ــ اذا كان وقتك يسمح .

الدكتور ماجوير : فلتلق بحديثك ، يا بن .

بن :

(مخاطبا يوچين) .

أليس لديك ما تفعله ؟

يوچين :

(وهو يجلس)

لا .

الدكتور ماجوير : ما أمرك ـ هل أصابتك (البيورية) فى أظافر قدميك ؟!
أو أنه شيء شخصى للغاية ؟

بن : لقد سئمت الحياة الناعمة فى هذا المكان ، وأتمنى الرحيل
الى مكان آخر .

الدكتور ماجوير : ماذا ترمى من وراء ذلك ؟

بن : أحسب أنك قد سمعت أن حربا تدور رحاها فى أوروبا؟
لقد قر عزمى على التطوع فى الخدمة العسكرية فى كندا .

يوچين : ولم تريد أن تفعل هذا ؟

بن :
(الى يوچين) .

الدكتور ماجوير : لا شأن لك بهذا .
انه سؤال وجيه ـ يا بن . اتريد ان تنقذ العالم ؟ هذا
العـــالم ؟

بن : أستحلفك بالمسيح ـ يا ماجوير ـ أن تزكى طلبى . اليس
كذلك ؟ لقد فحصتنى منذ شهرين فحسب .

الدكتور ماجوير :
(يضع حقيبته) .
حسنا ، لنر ، فان الحرب لها شروط متباينة نوعا ما .
أبرز صدرك . (بن يبرز صدره ، ويقوم الطبيب بفحصه)
الأقدام ؟ ليست مفلطحة ، ولكن أصابعها رفيعة كأصابع
الحمام .

بن : متى كان اطلاق النار يحتاج الى أصابع القدمين ؟

الدكتور ماجوير : وكيف حال أسنانك ، يابنى ؟

بن : ألا ترى أنك تبالغ فى الفحص يادكتور ؟

(بن يزيح شفتيه فيكشف عن صفين من القواطع البيضاء . وعلى غير ما يتوقع يخز ماجوير أحدالضلوع فى صدر بن باصبع قوية مصفرة ، فينكمش صدر بن المنتفخ ، ويتلوىساعلا متجها الىحافة الشرفة).

يوجين : فيم فعلت ذلك ؟

الدكتور ماجوير : أخشى أن يضطروا الى انقاذ هذا العالم بدونك — يا بن .

بن :

(ينهض ، ويمسك بالطبيب) .

ماذا تعنى ؟

الدكتور ماجوير : هذا كل ما أعنيه ! هذا كل ما أعنيه !

بن : أتقول اننى لست فى صحة جيدة ؟

الدكتور ماجوير : من قال انك لست بصحة جيدة ؟

بن : الا تكف عن مزاحك ؟

الدكتور ماجوير : فيم العجلة ؟ فقد نشترك نحن أنفسنا فى هذه الحرب قبل وقت طويل . فلننتظر قليلا .

(مخاطبا يوجين) .

بن : أود أن أعرف . هل أنت بعافية أم لا ؟

الدكتور ماجوير : نعم — يا بن — أنت فى صحة جيدة . لماذا ؟ — فأنت واحد من أكثر الناس صحة من بين الذين أعرفهم .

(فى حذر ، وهو يتحسس ذراعى بن) .

كل ما هنالك ، أنك منهوك القوى . أنت فى حاجة الى قليل من اللحم تكسو هذه العظام .

(بن يتملص منه مبتعدا) .

انك لا تستطيع أن تعيش على قدح من القهـــوة فى يد وسيجارة فى اليد الأخرى . أضف الى هذا أن هــواء آلتمونت يفيدك كثيرا . انطلق متجولا ، واملأ رئتيك به كثيرا .

(يلتقط حقيبته) .

بن : شكرا ، فأنت فى طبك نطاسى بارع !

الدكتور ماجوير : هون عليك . حاول ألا تعير الأمر اهتماما كبيرا .

يوچـــين : انه على حق ، عليك أن تحاول أن تعتنى أكثر بنفسك ـــ يا بن .

(يحاول يوچين أن يسرى عن بن ، يتحاشى أن يلمسه، فيهرول بعيدا عنه) .

بن : ان الأمر كله لا يعدو أن الدكتور ماجوير لا حماسة عنده اطلاقا تجاه هذه الحرب .

(بن يسترد قهوته ، ويشربها . يوچين يتأمله) .

يوچـــين : لم أكن أعرف أنك شديد الرغبة فى الرحيل عن هذا المكان .

بن :

(يتفحص يوچين ، ثم يضع القهوة) .

تعال هنا ، أيها الأفاق الصغير .

(يوچين يدنو منه) .

يالله ، أليس لديك قميص نظيف ؟

(يخرج بعض النقود) .

هاك ، خذ هذا ، وأذهب لتقص شعرك الطويل القبيح المنظر . وبحق السماء فلتشتر حذاء مناسبا . انك تبدو كأنك أفاق يرعى فيه القمل .

يوچـــين :

(مرتدا الى الخلف) .

بن ــ لا استطيع البقاء هكذا آخذ نقودا منك .

بن : فما فائدتى لك اذن ؟

(الشقيقان يتبادلان النقود فى مرح صاخب . يوچين يقهقه . وفجأة يمسك بن بذراعى يوچين فى قسوة بالغة ، ويهزه) .

أصغ الى . اصغ الى . لتـذهب الى المدرسـة ، أفاهم أنت ؟ لا تبق لأى أحد أو أى شىء ــ واعتبر بى ! فما أنا سوى مخبر صحافى مغمور فى صـحيفة تافهة ــ ولن أصير شيئا آخر غير هذا . أما أنت ففى وسعك أن تكون. لتحصل منهم على المال ، بأية وسيلة تستطيعها ! أشحذه، خذه ، اسرقه ، لكن عليك أن تحصـل عليـه منهم بأية طريقة . خذه وأعزب عنهم . وليذهبـوا جميعا الى الجحيـم !

(بن يسعل . يوچين يحاول أن يساعده . بن يتخلص منه ، ويجلس منهوكا على حافة الشرفة . يوچين يخور فى قنوط فى مقعد قريب) .

لم يحصل أحد منا على أى تعليم ،لا أنا ،ولا لوك،ولا ستيف. ولكنك تستطيع ذلك ــ يا چين . لقد تركتها تحتجزنى عن المدرسة ، حتى راحت الفرصة . لا تدع ذلك يحدث لك . ولا تحاول يا چين ــ أن ترضى كل الناس . عليك نفسك .

(بن يتأمل يوچين ، ويدرك ما يعتمل فى نفسه من أضطراب وحزن . ثم يلاحظ قبعة لورا التى تركتها فوق المنضدة بالردهة ، فيشير اليها) .

من أين صاحبة هذه القبعة ؟

يوچـين :

(يتتبع حلقة فى قبعة لورا ، فيلتقطها ويتشممها) .

لا أعرف . أنا لا أعرف حتى اسمها .

بن : انها مس چيمس ، على أن أعلن عن وصولها في نهـر الاجتماعيات بالجريدة .

(يأخذ القبعة من يوچين ، ويبدى اعجابه بها قائلا) .

عليها خطوط الربيع الغض ، زاهيا فى رقة عـذرية . « كأنه طائر وهمى مجنح ، يسبح فى غابة بين الأشجار اليانعة ، لكنه لا يرى ، ولا يمسك ! » .

(يعيد القبعة الى المنضدة ، ثم ينهض) .

ألك رغبة في التجوال معى فى المدينة ؟ سأشترى لك قدحا من القهوة .

يوچـين : ربما كان على أن أبقى هنا .

بن :

(عابثا بشعر يوچين) .

ما دامت باقية هنا ، فلا لوم عليك . فأنا نفسى أحلم دائما بالنساء الرشيقات .

يوچـين :

(ناهضا) .

أتفعـل ؟ ولكنك ـ يا بن ـ اذا كنت تحلم بالنسـاء الرشيقات ، كيف اذن ؟ حسننا .

بن : أتعنى مسز بيرت ؟ ان (البدينة) هى امرأة جد سعيدة ـ فليس عندها من الهموم ما تثقل به كواهل الآخرين . هذا فضلا عن أنها فاتنة ... كأنها بطة . الا تظن ذلك ؟

يوچـين : احسبك على حق . أنى أحبها ... لا شك فى ذلك .

بن : سوف تعرف يوما ما ماذا يعنى ذلك . على أن أعود الى العمـــل .

يوچـين : بن ـ أنا سعيد لأنك سوف لا تذهب الى كندا .

بن : (ينظر اليه متشامخا)

أتسمع ما يقول ! لقد كنت مولعا بالتفكير فى الرحيل ، لكن على أن أصلح من أمرك أولا . أليس كذلك ؟

(بن ينصرف . يوچين يتجول فى قلق ، ثم ينظر الى أعلى صوب نافذة لورا . تدخل مس براون الى المنزل، وقد ارتدت زيا للخروج فى نزهة ، حاملة مظلة) .

مس براون : چين ! انك لم تلق على التحية اليوم .

يوچـين : مرحبا بك ـ يا مس براون .

مس براون : لقد هدأ كل شيء . يا له من يوم دافىء جميل . أليس كذلك ؟

(مس براون تغنى وترقص بكل مشاعرها من أجـل يوچين) .

« فتاى الصغير ، فتاى الصغير ،
ألا تحب أن تكون فتاى الصغير ؟
لا تقل لا ، ألا تستطيع أن نذهب
فى التو واللحظة عبر تلك السهول ؟

(مس براون تدنو من يوچين ، فيرتد الى الوراء بعيدا عنها ، ويتعثر فى المائدة) .

تزوجنى ، واحملنى
بعيدا معك !

(تدلف الى الخارج من الشرفة الخلفية) .

يا فتاى الصغير ! »

(تدمدم مم مم مم)

(مس براون تخرج . يوچين يجلس عـــلى المقعد بالردهة ، يخلع أحد حذاءيه ويحك أصابع قدمه التى تؤلمه . تدخل لورا ، وتلتقط تبعتها ، وتبصر يوچين، فيخفى قدمه التى خلع حذاءها) .

مس براون :

(يسمع صوتها خفيفا خارج المسرح) .

« فتاى الصغير ، فتاى الصغير ،

(تدمدم . مم مم مم مم) .

تزوجنى ، أحملنى
بعيداً معك !
يا فتاى الصغير » .

(تقف لورا عند الباب ، وتنظر الى يوچين ثانية ، وتبتسم ، ثم تخرج) .

ســـتار

الفصل الأول

المشهد الثانى

نزل ديكسيلاند .

ليلة شاعرية دافئة . الجو ينذر بعاصفة غير عنيفة . أشجار باسقة متمايلة تلقى بظلالها على المنزل . يجلس فى الشرفة الجانبية چاك ، ومسز كلات . وفلورى ، ومس براون ، ومسز سنودن . تجلس مسز بيرت فى مقعدها « الهزاز » ، وبن على الدرج بالقرب منها ، يشربان الجعة . مسز بيرت تقيس الجوارب التى قامت بصنعها على حذاءين . چاك كلات يعزف على القيثارة ويغنى . يوجين يجلس ، وحيدا متلهفا ، على سلم الباب الجانبى) .

چـــاك : (يدندن فى نغم جميل) .

(عندما ينتهى چاك من الغناء ، تصفق له فلورى فى رقة . يبدأ چاك فى هدوء فى عزف أغنية جديدة على أوتار قيثارته عزفا غير منتظم) .

مسز بيرت : (متحدثة الى بن فى هدوء) .

علمت أنك تحدثت اليوم مع الطبيب . ترى ماذا قال لك؟ هلا تخبر (البدينة) ؟

بن : ما كدت أفتح الموضوع معه حتى أغلقت سبله . أوه . احسب أن هذا سيسرك . لكنك لا تعلمين مقدار ما يحس

به المرء عندما يعرف أن الضعف قد دب فى كيانه . ان جميع أفراد هذه الأسرة كلهم قوة ... قولى : ثيرانا ، وعولا برية ، أو نسورا . خلا ابى ، فى الفترة الأخيرة ، فانه يبدو ضعيفا ، ما لم يكن مخمورا . هل تعلمين أننى ما زلت — برغم ما يفعله — أنظر اليه كما كنت وأنا صبى صغير — عملاقا ماردا ! وأننى مازلت افكر فى البيت الذى شيده بيديه من أجل والدتى فى شارع وودسون وفيما كان يحمله من طعام عند عودته الى البيت ، والنار القوية المرتفعة التى كان يشعلها فى المدفأة ، وفى غرامياته فى ماخور مدام اليزابث . لقد سمعت أنه كانت له امرأتان وثلاث فى الليلة .

مسز بيرت : ما ألطف أن يشعر الآباء بأن أبناءهم يفكرون فيهم كما لو كانوا صغارا .

(مستطردة فى حين أن بن يقهقه) .

اقصد أن هذا هو السلوك الذى أحب أن يكون عليه ابنائى . أوه ، أنت تعرف ما أعنى .

بن :

(ضاحكا وهو يلقى بنظرته المعهودة الى أعلى) .

اسمع ما تقول !!

مسز بيرت : بن ، ترى من هذا الذى تتحدث اليه دائما هكذا ؟

(تقلد بن وهو ينظر الى أعلى من فوق كتفه) .

بن : من هذا ؟

(تومىء برأسها) .

انه جروڤر — شقيقى التوأم . لقد اعتدت هذا ، عندما كان على قيد الحياة .

مسز بيرت : كم أود لو أنك عرفتنى وأنا صغيرة السن . كنت على غير ما أنا عليه الآن .

بن : اراهن أنك لم تكونى لطيفة ، ودافئة وبدينة بقدر ما أنت عليه الآن .

مسز بيرت : بن ـ لا تدع أمك أبدا تسمعك تنطق بهذه الأشياء . ماذا عساها أن تظن ؟

بن : ومن يبالى ما يدور بخلدها ؟

مسز بيرت : عزيزى ـ حينما تأتى الفتاة التى تليق بك ، آمل الا تحزن على ما أسرفت لى من عطف .

بن : أنا لا أفكر فى هذه الفتاة اللائقة الآن . أترغبين فى مزيد من الجعة ؟ عندى زجاجة أخرى .

مسز بيرت : بعض الجعة ، ياعزيزى .

(بن ينهض ، يبحث تحت المنضدة الموجودة بالردهة عن الزجاجة التى كان قد أخفاها ، فيدرك أنها ليست موجودة ، ينظر فى شك الى يوچين ، الذى يأتى تحركات تدل على براءته ، ويمد يده وراءه ثم يلقى بزجاجة الجعة الى بن . بن و (البدينة) يضحكان. يعود بن ومعه الجعة الى (البدينة) ، ثم تدخل لورا من المنزل) .

چاك :

(ناهضا متوقعا قدومها) .

طاب مساؤك ـ يا مس چيمس .

لورا : طاب مساؤك .

چاك : هل تتفضلين بالجلوس ؟

مسز كلات :

(وقد رأت لورا على وشك أن تختار مقعدا) .

هذا مقعد مستر فاريل . أما مقعدك فهو هناك فى الخلف.

چـــاك :
(بصوت عال) .
لقد غادرنا مستر فاريل ــ يا أماه .

مسز كلات : ماذا ؟

چـــاك : لا شيء ؟
(مخاطبا لورا) .
لست أرى معنى لكل هذه الرسميات . هــل تغنين معى ــ يا مس چيمس ؟

لـــورا : انا احب الموسيقى ، وان لم تكن عندى الموهبة .
(لورا تنتقـل نحـو مؤخرة الشرفة ، بعيـدة عن الآخرين) .

فلورى :
(مخاطبة چاك) .
أحب أن أغنى معك .
(چاك يتجـاهل فلورى ، ويلاحق لورا ، فتجذب فلورى چاك من سترته) .

(مخاطبة چاك عند مروره) .
هل تعرف أغنية « هنهنة انديانا » . انها اغنية محبوبة .
(چاك ولورا يخرجان) .

بن : انى أشعر بارتياح عندما أكون معك ــ أيتها (البدينة) .

مسز بيرت : هذا جميل ، وانى لكذلك .

بن : ان الناس لا يفهمون ، فان « تجارة الجسد » ليســـت كل شيء ، أليس كذلك ؟

مسز بيرت : بن جانت ، أى لون من العبارات السوقية المبتذلة هذه ؟

بن : انها عبارة سمعتها فى « ستمبتون » اذ كنت أقوم بتوزيع الصحف هناك . وكانت النســـاء الزنجيات اللاتى لا يمتلكن أحيانا من المال ما يسددن به قائمة الحساب، يدفعن ذلك ببيع أعراضهن .

مسز بيرت : بن ــ ان أخاك الصغير قريب منا وهو ينصت الينا .

بن :

(يلقى نظرة على يوچين) .

ان چين يعرف كل شىء عن تجارة الجســـد ، أليس كذلك ؟ والا فأين تظنينه عاش طيلة حيـــاته ــ فى نزل أمى ؟

يوچـين : أوه ــ تمهل ، يا بن !

بن :

(ضاحكا) .

ثمة كلمة أخرى اذكرها عند ما كنت فى الصف الثامن . فقد كانت هناك معلمة نحيلة القوام ، كنت تقرأ الرغبة فى عينيها ، وكان الصبية يؤلفون عليها الأغانى قائلين :

« لمس جرودى العجوز
سحنة تشبه (الكوز) ! » .

(البدينة) : بن ــ لتكف عن هذا الذى تقوله .

(كلاهما يضحكان . تدخل لورا من الباب الخلفى الى يوچين بعد أن تمكنت من التخلص من چاك وبعد أن دارت حول المنزل من الخلف . تدخل الى يوچين من الباب الجانبى) .

لـــورا : طاب مساؤك .

يوچين : مـــاذا ؟
لـــورا : قلت طاب مساؤك .
يوچين : (مضطربا) .
(جوديادو)
لـــورا : معذرة !
يوچين : أعنى ، لقد قصدت أن أقول طاب مساؤك ، كيف حالك؟
لـــورا : (جوديادو) ، أفضل هذا التعبير كثيرا ، (جوديادو) !
(يتصافحان ، لورا تقبض بيدها على يد يوچين بعنف متجاوبة معه) .
الا تعتقد أن ذلك مضحك ؟
يوچين :
(يجلس على مقعد بالردهة) .
ان هذا مضحك كمعظم الأشياء التى أفعلها .
لـــورا : اتسمح لى بالجلوس ؟
يوچين : (واثبـــا)
تفضـــلى .
لـــورا :
(وهما يجلسـان) .
أنا لورا چيمس .
يوچين : أعرف هذا . أنا يوچين جانت .
لـــورا : أتدرى أننى قد رأيتك من قبل .
يوجين : أجل ، كان ذلك فى ساعة مبكرة من بعد ظهر اليوم .
لـــورا : أعنى قبل ذلك . لقد رأيتك تلقى ببطاقات الاعلان فى « البالوعة » .

يوچين : أرأيتنى !

لورا : كنت قادمة من المحطة . وأنت تعرف المكان الذى يعبر فيه القطار الشارع ؟ لقد كنت واقفا هنالك تحملق فى القطار . أما أنا فمررت الى جانبك وابتسمت لك . ولكنك تجاهلتنى وهو ما لم يحدث لى من قبل . لاشك أنك شديد الولع بالقطارات .

يوچين : أكنت تقفين قريبة جدا منى ؟ من أى بلدة أنت ؟

لورا : من ريتشموند بولاية ڤرچينيا .

يوچين : ريتشموند ! انها مدينة كبيرة ، أليس كذلك ؟

لورا : إنها كبيرة للغاية .

يوچين : كم عدد سكانها ؟

لورا : أوه ، أستطيع أن أقول انهم نحو مائة وعشرين الفا .

يوچين : أليس هناك كثير من المتنزهات الجميلة والشوارع الفسيحة ؟

لورا : أوه نعم ...

يوچين : والعمارات الشاهقة الفخمة التى بها مصاعد ؟

لورا : أجل ، انها حاضرة عظيمة .

يوچين : وبها مسارح وما شابه ذلك ؟

لورا : ما أكثر ما يأتى ريتشموند من مشاهد للفرجة . هل أنت مشغوف بذلك ؟

يوچين : وعندكم مكتبة كبيرة . هل تعلمين أنها تضم نيفا ومائة ألف كتاب ؟

لورا : كلا ، لم أكن أعرف .

يوچين : حسنا ، انها تضم هذا العدد من الكتب . انا قرات هذا في مكان ما . لابد أن قراءة مائة الف كتاب يستغرق وقتا طويلا . أليس كذلك ؟

لورا : نعم ، انه كذلك .

يوچين : أنا أقدره بنحو عشرين عاما . وكم من الكتب يسمحون لك باستعارتها في وقت واحد ؟

لورا : حقا . انني لا أعرف .

يوچين : انهم لا يسمحون لك هنا باستعارة أكثر من كتابين !

لورا : يا للأسف الشديد .

يوچين : وعندكم بعض الكليات العظيمة في ڤرچينيا . هل تعرفين أن كلية « وليم وماري » تعد في المرتبة الثانية بين أعرق الكليات في الولايات المتحدة ؟

لورا : كذا ؟ اذن فما هي أقدم كلية ؟

يوچين : هارڤارد ! لكم أود أن اتلقى تعليمي هناك ! في جامعة « تشابل هل » التي توجد في ولايتنا أولا ، وبعد ذلك في هارڤارد . أود أن أرتاد العالم متجولا من أجل العلم والتحصيل ، وأتعلم كل لغاته ، اني أحب اللغات . ألا تحبينها ؟

لورا : نعم أحبها .

يوچين : اتضحكين مني ؟

لورا : طبعا ، كلا .

يوچين : انك تبتسمين كثيرا !

لورا : اني أبتسم لأنني أمتع النفس بالحديث معك .

يوچين : وأنا كذلك . أحب الحديث معك . فأنا أجيد الحديث دائما مع من هم أكبر مني .

لـــورا : أوه !

يوچـين : فهم يعرفون أكثر مما أعرف .

لـــورا : مثلى أنا ؟

يوچـين : نعم . فأنت مسلية للغاية .

لـــورا : تعتقدنى كذلك ؟

يوچـين : أوه ، نعم ! فأنت مسلية للغاية !

(چاك كلات يقترب ... فلورى مانجيل تحوم ملهوفة في الشرفة) .

چاك كلات : مس چيمس ؟

لـــورا : نعم ، يا مستر كلات ؟

چاك كلات : كلات .

لـــورا : كلات .

چاك كلات : چاك كلات ! يا لها من أمسية جميلة . أترغبين فى جولة قصيرة ؟

لـــورا : يبدو لى أنها ستمطر .

چاك كلات :

(متطلعا الى السماء) .

أوه ، لست أدرى .

يوچـين :

(ناهضا ، ثم يتحرك فيقف بين لورا وچاك) .

انها ستمطر فعلا .

چاك كلات : أوه ، لست على يقين من ذلك !

لـــورا : ربما قمنا بها فى وقت آخر ـ يا مستر كلات .

جاك كلات : بالتأكيد ، طابت ليلتك ، يامس چيمس . طابت ليلتك ، يابنى .

(يوچين يحدج چاك ينظرة . چاك يعود الى الشرفة حيث يكون النزلاء الآخرون قد تواروا . چاك وفلورى ينصرفان . (البدينة) وبن ما زالا جالسين على السلم . يتردد صفير حزين لقطار بعيد . يوچين يدير أحدى أذنيه الى مصدر الصوت منصتا) .

لـــورا : لا شك أنك تحب القطارات ، أليس كذلك ؟

يوچـــين : لقد اصطحبتنا والدتى فى أحد هذه القطارات الى مدينة سان لوى حيث أقيم فيها المعرض الكبير . وكنت عندئذ فى الخامسة من عمرى فحسب . ألم تلمسى أحدا منها من قبل ؟

لـــورا : ماذا ؟

يوچـــين : ألم تضعى يدك على احـــدى القـاطرات ؟ اذا أردت أن تفهمى شيئا فهما تاما ، لابد لك من أن تلمسيه .

لـــورا : ألست تجدها ساخنة نوعا ما ؟

يوچـــين : حتى اذا ما لمست قاطرة باردة تقف فى فناء المحطة ، هل تعرفين ماتحسين ؟ ستحسين بالقضبان الحديدية اللامعة التى تنطلق من تحتها تنقل اليك رسالة من تلك الجبال النائية التى مر عليها القطار ... ومن تلك الأنهار المتدفقة ، والغابات ... والمدن ... والمنازل ومن فيها من الناس ... بل حتى من هذه الحبال التى تعلق عليها الملابس المغسولة تلعب بها الرياح ... أولئك الناس الذين يعجبك منهم جمال عملهم وطرق معيشتهم ، فكم من فلاح فى حقله ، أو تلميذ فى فناء مدرسته حيا القطار بيديه ، وكم من مكـان قصى انطلق

فيه القطار يدوى فى ظلام الليل فى هذه الأماكن التى لا تستطيعين تخيلها ... هل تصدقين ؟ ـ انك تشعرين بائتلاف الحياة بأسرها . ان قطارا بأكمله يدور بين يديك .

لـــورا : (فى تأثر) .

لست على يقين أننا جميعا نحس بكل هذا . أعتقد أنك تحس به فعلا .

(تمر لحظة تنظر لورا فيها الى يوچين . بن يصعد الى الشرفة ومعه الحاكى ، يدير اسطوانة لاغنية « چنيف » . يتحدث يوچين ولورا فى وقت واحد) .

يوچـين : كم من الزمن قررت أن ....

لـــورا : كم عمرك ؟

يوچـين : آسف ـ أرجوك .

(يجر مقعدا بالقرب من لورا ، يجلس عليه وقدفتح ما بين رجليه ، فى مواجهتها) .

لـــورا : كلا ، أنت تبدأ أولا .

يوچـين : كم من الزمن قررت البقاء هنا ، يامس چيمس ؟ .

لـــورا : « لورا » . أود لو أنك تدعونى بهذا الاسم .

يوچـين : لورا ـ انه اسم جميل . هل تعرفين ماذا يعنى ؟

لـــورا : كلا .

يوچـين : لقد قرأت ذات مرة كتابا عن مدلول هذه الأسماء . ان لورا هو فى الأصل « لوريل » رمز النصر عند الاغريق .

لـــورا : النصر . ربما قد أعيش الى اليوم الذى أحقق فيه هذا النصر !

(بعد لحظة وجيزة) .

وماذا يعنى اسم «يوجين » ؟

يوچين : أوه . لقد نسيت .

لورا : أأنت تنسى ؟

يوچين : انه يعنى « الأصيل النسيب » .

لورا : كم تبلغ من العمر ؟

يوچين : لماذا ؟

لورا : أنا شغوفة دائما بمعرفة أعمار الناس .

يوچين : وأنا كذلك ، كم عمرك ؟

لورا : أنا فى الحادية والعشرين . وأنت ؟

يوچين : تسع عشرة سنة . هل ستبقين هنا فترة طويلة ؟

لورا : لست أعرف بالتحديد .

يوچين : هل تبلغين احدى وعشرين سنة فحسب ؟

لورا : كم كنت تظن أننى أبلغ من العمر ؟

يوچين : أوه ، نحوا من هذا . كدت أقول احدى وعشرين . ليست هذه السن كبيرة اطلاقا !

لورا :
(تضحك) .
لا أشعر بأنى كذلك !

يوچين : كنت أخشى أنك تحسبيننى من حداثة السن بحيث تضيعين وقتك هباء معى هكذا !

لورا : لا أعتقد أن التاسعة عشرة سن صغيرة أبدا !

يوچين : أحقا أنها ليست كذلك ، أليس كذلك ؟

لورا : چين ، اذا واصلنا النقاش بهذه الطريقة ، فاننا سرعان ما نصطدم .

* * *

(اورا تنهض ، وتبتعـد عن يوجين ، فيلاحقهـا . يجلسان معا على الدرجات الجانبية ، ثم يقتربان متهامسين . تدور منصـة المسرح ، فتختفى غرفة يوجين ، وتظهر غرفة جانت) .

(البدينة) : بن ، ما اسمك بالكامل ؟

بن : بنجامين هاريسون جانت . لماذا ؟

(البدينة) : كنت أظن أن بن هو اختصار لاسم بنين أى (اللطيف).

بن : بنين ! أتسمع ما تقول !

(يضحكان . ترتفع الأضواء فى غرفة جانت . تدخل الزا حاملة ابريقا وكوبا . جانت فى فراشه ، يشيح عنها بوجهه) .

جانت : هيلين ؟

الــزا :

(بمرارة) .

كلا . أنا لست هيلين ، يا مستر جانت .

(تصب كوبا من الماء)

جانت :

(دون ان يلتفت اليها) .

اذا كان هذا الذى تصبينه ماء ، فخذيه بعيدا .

الــزا : لم لم تنم ؟ أتشعر بألم ؟

جانت : لاشىء سوى الم التفكير الممض الذى أحس به كل يوم . أنت لا تستطيعين أن تدركى مقدار هذا الألم .

الــزا : أانا لا أستطيع أن أعرفه ؟

(تبدأ فى التقاط ملابس جانت المبعثرة .)

جانت : كيف لك أن تعرفيه ؟ وأنت منهمكة فى استثمار أموالك.

الـــزا : كل هذا العمل الذى أقوم به هنا ، وتسميه استثمار أموال ؟

جانت : هناك قوم يعملون ، وآخرون يفكرون .

الـــزا : وعلى بعض الناس أن يعملوا ـ يا مستر جانت . على بعضهم أن يعمل . أوه !! أحسب أنك تظن نفسك فنانا من ضرب معين ـ ولكننى لا أعتقد شخصيا أن رجلا يأتون به مترنحا فى الشوارع وهو يصيح ويسب ويلعن ـ أتسمى هذا لونا من الفنون ؟

جانت : ها قد انطلقت كلاب جهنم المسعورة ثانية ! فلتسدى فمك ، يا امرأة !

الـــزا : مستر جانت ، لقد دخلت هذه الغرفة كى أرى اذا كان هناك شىء أستطيع أن أفعله من أجلك . وذلك بدافع من الشفقة فحسب . أرجوك أن تستدير وتنظر الى عندما أتحدث اليك ؟ فأنت تعلم أننى لا أطيق أحدا يدير وجهه عنى .

جانت : يالك من وحش سفاك ، لكم تودين أن تروى ظمأك بدمى!

الـــزا : أنت لا تعنى ذلك ـ أننا قد اعتدنا هذا طويلا . وأحسب اننا نستطيع أن نواصل حياتنا حتى نهايتها . أتدرى أننى كنت أفكر هذا الصباح فى ذلك اليوم الذى تقابلنا فيه لأول مرة . هل تعرف أنه قد مضى على زواجنا واحد وثلاثون عاما ، فى يولية القادم ؟

جانت :

(متأوها) .

يا رحيم ! واحد وثلاثون عاما فى هذا البؤس .

الــــزا : انى لأذكر ذلك اليوم كأنه البارحــة . كنت آتية بعــد زيارتى لابنة عمى « سالى » ، فمررت على حانوتك حيث كنت موجودا فيه · انى أقسم انك تبدو كبير الجســم كأحد الشواهد التى تقوم بنحتها على القبور ــ وكنت مغبر الوجه ، تطل من عينيك تلك النظرات الوحشية الخطرة . وكنت تجنح الى الخيال فى تلك الأيام ــ وكنت ابله فى طريقتك فى مصارحتى الغــرام ، اذ قلت لى : « يامس بنتلاند ، لقد أتيت الى هذا الحانوت القــذر الشديد الحرارة كالغيث الرطب الذى ينهمر فى الصيف! كالغيث الرطب الذى ينهمر فى الصيف ! » . هذا نص ما قلته لى تماما !

جانت : وما زالت أغطيتك مبتلة منذ ذلك الوقت .

الــــزا : انا اغفر لك هذه الهنات الضاحكة ــ يا مستر جانت . انا اغفر لك هذه الهنات الضاحكة .

(تجلس بجــواره ، تجد أبرة وخيطا تحت بنيقة « ياقة » ردائها ، فترتق ثوبه) .

جانت : هــــل ؟

(يستدير ببطء وأخيرا ينظر اليها) .

هل تغفرين لى ، يا الزا ؟ اذا استطعت أنأفهمك شيئا · لقد كنت من قبل رجلا ذا بأس . . . منذ قليل كنت فى غفوة ، أحلم بالماضى ، بذلك الماضى البعيد . أحلم بالناس والمكان الذى أتيت منه . وبما كنت أملكه من اجران كبيرة فى « بنسلفانيا ، وبمكانتى الاجتماعية الرفيعة ، وما كنت أنعم به من بسطة فى العيش ، وما أرتع فيه من فيض . لقد بدأت الأمور معى هناك بداية طيبة ، حيث كنت أحظى بمركز مرموق فى الحياة . والى أى شىء وصلت؟

. . . لاشيء سوى احداث الفوضى والشغب ، باحثـا عن العيش متسكعا . لقد أوتيت الشيء الكثير ـ الشيء الكثير . لقد انتهى الآن كل شيء . يا الهى ـ أين ذهب كل هذا ـ يا الزا ؟ لماذا أنا هنا أقضى النهاية الأخـيرة من عمرى ؟ لقد لطخت سنى عمرى ، وملأتها بالخـزى والعار . . . وها قد ذوى شبابى ، وأصبحت كبير السن ـ كهلا . . ولكن لماذا أنا هنا ؟ لماذا أنا هنا ؟

الـــزا : انك تنتسب الى هذا البيت ـ يا مستر جانت ! أنت تنتسب الى هذا البيت .

(تلمس يده) .

جانت :

(يلقى بيدها بعيدا) .

وكلما ازددت ضعفا ، ازددت أنت قوة وبأسا !

الـــزا : تبا لك ! اذا كان هذا احساسك ، قد يكون ذلك لأنك بلا مركز الآن . لو انك أصغيت لى مرة واحدة ، لتغير كل شيء . أنت لم تثق بى ، أليس كذلك ، عندما أنبأتك أن حانوت الرخام العتيق الصغير الذى تمتلكه سـوف يساوى ثروة طائلة فى يوم ما ؟ ولقد حدث أنى كنت مع ويل فى المدينة هذا الصباح .

(جانت يتأوه) .

فأوقفنـا فى الطريق مستر بيتشام المسن ، وهـو من موظفى البنك ، وقال لى :

« مسز جانت ، أن البنك يجد فى البحث عن موقع لبناء دار جديدة له ـ هل تعرفين المكان الذى وقع عليـه اختيارنا ؟ » فقلت له : « كلا . » فقال لى : « لقد وقع اختيارنا على حانوت مستر جانت ونحن على استعداد لدفع عشرين ألف دولار ثمنا له ! » والآن ، ما رأيك فى هـذا ؟

جانت : وقد جئت أنت الى هنا بدافع الشفقة وحدها !

الـــــزا : حسنا . أود أن أقول لك ، ان عشرين ألف دولار مبلغ كبير! وكما قال الرجل :«ان الحانوت لايساوي هذا المبلغ!»

جانت : وملاكي !! ملاكي المصنوع من رخام كارارا ؟
هل كنت ستبيعينه هو أيضا ؟!

الـــــزا : الملاك ! الملاك ! الملاك ! لقد سئمت أن أسمع عن تلك المـــلاك !

جانت : أنت دائما تسأمين سماع ذلك ، فان حديث المال يجعل شفتيك تقطران شهدا ، ولكنك لا ترغبين أن أتفوه بكلمة واحدة عن ملاكي ! لقد شرعت في نحت عشرين قطعة من الرخام أحاول أن أجعلها تنطق بصورة المـــلاك . بيد أن عملي الذي أرتزق منه لا يهمك في كثير أو قليل .

الـــــزا : اذا عجزت كل هذه السنين عن أن تنحت تمثالا على غرار هذه الملاك ، ألا ترى معي أن موهبتك كنحات قد تكون محدودة !

جانت : نعم ، يا مسز جانت ، قد تكون محدودة ! قد تكون محدودة !

الـــــزا : اذن ، لم لا تبيع الحانوت ؟ فنستطيع أن نسدد به رهن ديكسيلاند ثم تعود الى ما كنت عليه ، تنعم في بحبوحة من العيش ، ونقضي ما تبقى لنا من عمر على دخلنا من النزلاء !

جانت :

(غاضبا ، واثبا بكليته من السرير) .

يا للجحيم ! (صارخا) النزلاء ! ذلك الموكب من القوادين والعاهرات الذين انتحلوا أسماء غير أسمائهم ، والذين

يدعون أنهم مدرسو رقص مفلسون ، أو أرامل بؤساء ، أو معلمون غير متفرغين ، ويعلم الله من هم ! الرحمة أيتها المرأة ! ان هذا الحانوت هو آخر ملجأ لى فى هذا العالم ! فأرجوك أن تدعينى أموت فى سلام ! ولن يطول انتظارك كثيرا . وتستطيعين أن تفعلى به ما يحلو لك من بعدى . كل ما أطلبه منك قليلا من الراحة . واتركى لى عملى ! لقد ادركت زوجتى الأولى على الأقل ما يعنى هذا بالنسبة الى .

(يبحث عن الوسـادة المنتفخة وقد فاضت به عاطفته) .

سنثيا ، سنثيا . . .

(فى برود) .

الـــزا : لقد وعدتنى أنك لن تذكر اسمها مطلقا أمامى ثانية .

(يمر صـمت طويل . الزا تقضم الخيط الذى تحوك به) .

مستر جانت ، أحسب أننى لن أفهمك مطلقا ، اذ لاسبيل الى ذلك . طاب مساؤك . حاول أن تغفو قليلا .

(تنهض واقفة ، وتلفه بأغطية السرير) .

أحسب أن الأمر كما قال أحدهم ـ أن الناس لن يفهموا بعضهم بعضا مطلقا ـ على الأقل فى هذه الحياة .

(الزا تخرج ، وتقف خارج غرفة جانت ، تحاول أن تجمع شتات نفسها) .

(يتأوه) .

جانت : أوه ، أوه . لعنة الله على ذلك اليوم الذى ولدتنى فيه أمى . أوه ، أوه . أتضرع اليك يا الهى ! .. أنا أعلم أننى كنت سيىء الخلق . أغفر لى خطاياى ، ولتحل برحمتك وعطفك على . رحماك اللهم ، أمنحنى فرصة أخرى . . . أوه ، أوه .

(يستبدل بغرفة جانت غرفة يوجين . ترتفع الأضواء على الشرفة . وما زالت لورا ويوجين جالسين على الدرج الجانبى . و (البدينة) وبن – كما كانا من قبل – جالسين ويضحكان فى رقة . الزا تدخل وقد اتشحت بعاطفة مرة من احساسها ازاء جانت . تشرع فى جمع الأطباق وأقداح القهوة التى يتناولها النزلاء) .

مسز بيرت : (مترنحة قليلا) .

لماذا ، اذا لم تكن مسز جانت ! لم لا تجلسين وتشتركين معنا لبرهة وجيزة ؟

الــــزا : (تجول ببصرها فتقع عيناها على أكواب الجعة) . لقد أخبرتك من قبل يا مسز بيرت ، أننى لا أحتمل أحدا يحتسى خمرا فى ديكسيلاند ! .

بن : أوه ، ياأمى ، بحق السماء . . .

الــــزا : (توقف الحاكى غاضبة) .

ان ذلك الذى تحملونه فى كل مكان قد مــــلأ البيت ضجيجا .

بن : الذى نحمله فى كل مكان ! أتسمع ما تقول !

الــــزا : انتما لا تدعان النزلاء ينامون .

بن : انهم لم يدخلوا الا منذ حين .

الــــزا : عندما مررت بغرفتك الآن – يا مسز بيرت – رأيتها مضاءة . فاذا كنت ستقضين الليل كله هنا ، فلا معنى لاضاعة الكهربا هباء .

بن : لقد قال الرب : « ليكن نور » ، حتى ولو كانت قوة هذا النور ٤٠ « وات » .

السـزا : لا تحمل على هكذا يا بن ، فلست أنت الذى تقوم بدفع قائمة الحساب ! ولو فعلت ، لغاضت الابتسامة من جانب وجهك . لست أحب مثل هذا الحديث . لقد بعثرت كل بنس كسبته لأنك لم تعرف أبدا قيمة النقود!

بن : قيمة الدولار !

(ينهض ، ثم يذهب الى الردهة كى يأخذ سترته).

اوه ، يا للجحيم ، ترى ما قيمة المال على اية حال ؟ هيا أيتها (البدينة) هيا بنا نذهب لنتريض .

(البدينة) :

(واقفة) .

بن ـ ان (البدينة) العجوز طوع بنانك فى كل ما تقول.

السـزا : (مهاجمة مسز بيرت) .

لست أريد منك أى تدخـل ، أفاهمة أنت ، فلست الا نزيلا يدفع أجرا . هذا هو كل ما هنالك . لست أحد أفراد أسرتى ، ولن تكونى أبدا ، مهما كانت وسائلك الخسيسة التى تحاولينها .

يوچين : (تاركا لورا مبتئسا) .

اماه ، مهلا !

السـزا : (متحدثة الى يوچين) .

لا أحاول الا المحافظة على النظام وآداب السلوك فى هذا النزل ، وها هو ذا جزائى على هذا ، كان عليكم أن تخروا جميعا على أقدامكم شاكرين لى .

بن : (خارجا من الردهة ، يغلق باب الحاجز بعنف) .

لم كان على أن أكون شاكرا ؟ لأى شىء ؟

(البدينة) : (محاولة أن تقفه عن الكلام) .
بن ، هيا يا بن .

بن : أمن أجل بيعك للمنزل الذى بنـــاه أبى بكلتا يديه ثم انتقالنا الى هذا الجرن الذى تلعب به الرياح والذى يشاركنا فيه غيرنا فى مسكننا وطعامنا ، ومسراتنا ، وخلواتنا وكأننا فى خلية نحل أنت ملكتها ؟ هل هذا هو ما يفترض على أن أكون معترفا بفضله ؟

الـــزا : ما دفعك الى هذا القول سوى تلك الخمر الفاجرة !

يوچـين : لتكفوا عن هذا ! أستحلفكم بالله أن تكفوا عن هــذا ! أرجوك ــ يا أماه أن تذهبى الى فراشك وأنت يا بن ...

(يوچين يرى أن الورا قد خرجت الى المنزل فيلاحقها بنظره محنقا) .

بن : انظرى الى ولدك الصغير ! لقد جعلته يهيم فى الشوارع منذ كان فى الثامنة من عمره ، ليجمع الزجـاجات ، وليبيع الصحف ــ وكل ما يمكن أن يدر عليك المال .

الـــزا : ان چين له من العمر ما يجعله يكسب عيشه !

بن : اذن فهو من العمر بحيث يجعلك ألا تتمسكين به . لكن ، كلا ، فمن الأفضل لك أن تتشبثى به كأنه احــدى ممتلكاتك ، فلربما تزداد قيمته فتعقدين عليه صفقة من صفقاتك ، وتربحين من ورائه . انه ليس ابنا ، انه شيء للاستثمار ! فأنت قد جننت بالمال حتى .

(الزا تنقل الزجاجات والأكواب الى يدها ، ثم تصفع بن ، يخيم صـمت طويل ، يحدق فيه كل منهما فى الآخر) .

بن : هيا بنا ــ أيتها (البدينة) .

(بن يخرج ألى الطريق مارا (ا بالبدينة) .

(البدينة) : لم يكن يقصد هذا ـ يا مسز جانت .

(تلحق بن) .

بن ؟ بن ، انتظر (البدينة) !

(لحظة سكون) .

يوچين : (هادئا وفى أسى) • أماه • أماه • أماه !

الـزا : حسنا ، لقد دفعته هى الى هذا ! لم يعتـد أبدا أن يتحدث الى هكذا • هأنتذا واقف هناك وشـاهدت كل شيء . فأسألك الآن . هل كانت غلطتى ؟ حسـنا ؟ أكانت غلطتى ؟

يوچين : (يتطلع الى لورا) .

أماه ، أماه ، بربك اذهبى الى فراشك ، هلا تذهبين ؟

حسـبك أن تذهبى الى فراشك وانسى كل شيء : الا تفعلين ؟

الـزا : انتم جميعا ... ما من أحد منكم ، والدك ، ثم بن : وهأنتذا الآن ••• جميعكم الا وتنحون على باللائمـة • وليس لأحـد منكم اية فكرة ، أية فكرة ... أنتم لاتعلمون ما كان على أن أتحمله طوال هذه السـنين •

يوچين : أوه ، يا أماه . كفى عن هذا . أرجوك أن تكفى عنه ؟

الـزا : (متهالكة فتجلس على الدرج) .

لقد بذلت أقصى ما فى وسعى . لقد بذلت أقصى ما فى وسعى . ولم تمر على لحظة من حياتى مع أبيك فى سلام . ولا يعلم أحد ما عانيته منه . لا أحـد يعلم ، يا بنى ، لا أحد يعلم .

يوچين : (يجلس بجوارها) .

أنا أعلم هذا ـ يا أماه ! أنا أعلم . فلتنسى كل هذا !

السـزا : انك لا يمكنك أن تدرك . فأنت لا تعرف ما يحدثه لى يوم كهذا . لقد اعتـدت أنا وبن أن نكون متآلفين ــ وبخاصة بعد وفاة جروڤر . لا أظن أن أما وابنها كانا متآلفين كما كنت أنا وبن . أنت لا تذكره عندما كان صغيرا .. وقصاصات الورق التى يكتبها لى دائما . كنت أجدها وقد انزلقت تحت باب غرفتى ، عندما كان يستيقظ مبكرا كى يمر بالمنـازل ليبيع الصحف . فيكتب لى قائلا : « طاب صباحك ، يا أماه ! » ... « لتنعمى بيوم جميل ، يا أماه .. » . كم كنا متآلفين..!

يوچـين : الوقت متأخر ... وأنت مرهقة .

السـزا : (تحاول أن تلم شتات نفسها ، ثم تنهض) .

حسنا ، كما يقال ، انه لا فائدة من البكاء على اللبن المراق . وعلى أن أقوم بكى مناشف المائدة ومناشف الوجه استعدادا للغد .

يوچـين : (ينهض ، ناظرا صوب غرفة لورا) .

يستطيع النزلاء أن يسيروا أمورهم غدا بدون مناشف جديدة ، يا أماه لم لا تنامين قليلا ؟

السـزا : حسنا ، أنا أقول لك : سوف لا أقضى حياتى فى هـذا النزل أكد فيه كالرقيق من أجل حفنـة من النزلاء ، انهم فى غنى عن أن يظنوا ذلك . لسوف أستريح وأحيا حياة سهلة كأى واحد منهم . وقد تجد أسرة جانت قد سكنت يوما ما بيتا كبيرا فى حى « دوك بارك » . لقد حصلت على أحسن قطعة من الأرض هناك . وقمت بالاتفاق مع مستر دوك المسن بنفسه فى ذلك اليوم . ما رأيك فى هذا ؟

(تضحك) .

وقال لى : « يامسز جانت ، لا أستطيع أن أثق فى أى أحد من وكلائى ليتفق معك . فاذا كان لى أن أعقد صفقة معك ، فعلى أن اكون حذرا ، فأنت أذكى من يعقد صفقة فى هذه المدينة !» فقلت له : «لماذا ــ ثم استطردت قائلة: « أن كل ما أريده هو أن يعود على استثمارى بفـــائدة عادلة » .

(تضحك ثانية بعد أن تذكرت ما حدث) .

لقد كان نص ما قاله لى : « أنت أذكى من يعقد صفقة فى هذه المدينة » .

أوه ــ ياعزيزى .

(يوچين يضحك معها) .

حسنا ... من الأفضل أن أقوم بكى تلك المناشف ، هل ستدخل ، يابنى ؟

يوچـين

(ينظر تجاه غرفة لورا) .

بعد برهة وجيزة .

الـــزا : لا تنس أن تطفىء اللافتة . طاب مســـاؤك ، يابنى .

(يوچين يستدير لالزا فتقبله) .

لتنم نوما هادئا ، أيها الغلام. عليك ألا تفرط فى صحتك.

(تدخل) .

يوچـين : لا تسهرى فى العمل .

(يوچين يتجه نحو الباب الجانبى) .

الـــزا : چين ، أتعرف أين يتجه . شارع « صن ست تيراس » مصعدا الى التل ؟ فوق قمة المرتفع ؟ هذه هى قطعة الأرض التى اشتريتها . أنت تعرف أين أقصد . أليس كذلك ؟

يوچين : نعم ، يا أماه .

الزا : ذلك هو المكان الذى سنبنى فيه ــ فوق نفس هذه القمة تماما . انا أقول لك : انه ــ على الرغم من هذا ــ فان قطعة الأرض هذه سوف تتضاعف قيمتها فى السنوات الخمس المقبلة . كن شاهدا على ما أقول !

يوچين : نعم ، يا أماه . والآن . أستحلفك بالله ، فلتذهبى ، وأنجزى عملك حتى تنامى !

الزا : لا يا سيدى ، فهم فى غنى عن أن يظنوا أننى سوف أكد لهم كالرقيق طيلة حياتى . أن لدى مشروعاتى ، كأى شخص آخر ! وسوف ترى

(نسمع فى خارج المسرح أصوات أجراس الكنيسة معلنة منتصف الليل) .

حسنا ، طاب مساؤك ، يابنى .

يوچين : طاب مساؤك ، يا أمى ...

(الزا تخرج . يوجين مناديا فى يأس) .

لورا .... لورا !!

(يكف عن ندائها ، ثم يستدير بعيدا . لورا تدخل من الباب الجانبى . يوچين يلتفت ، فيراها) .

أسمعت كل ذلك ؟ أنا جد آسف ، يالورا .

لورا : وماذا يدعوك الى الأسف ؟

يوچين : الك رغبة فى التجول ؟

الزا : انها ليلة جميلة .

يوچين : ربما أمطرت .

لورا : أنا أحب المطر .

(يوچين ولورا يمد كل منهما يده الى الآخر . يقترب يوچين منها ، ويتناول يدها ، ثم يخرجان معا . يظل المسرح برهة وجيزة فى سكون . ثم تدخل الزا ومعها ظرف فى يدها) .

الــــزا : أترى . انظر هنا ـ لقد رسمت تخطيطا للأرض . فشارع « صن ست تيراس » يتجه .

(تنظر حولها) .

چين ؟ چين ؟

(تنظر الى أعلى حيث غرفة يوچين) .

چين ، لقد طلبت اليك أن تطفىء اللافتة ـ يا لهـذا الغلام ؟ لست أدرى ماذا أفعل معه ؟

(الزا تدخل القاعة ، تطفىء اللافتة ، وتقف لحظة . يسمع صوت احـد المارة خارج المسرح مغنيا أغنية « چنفيف » . الزا تنزل الى حافة الشرفة . وتجيل بصرها فى الليـل فى الاتجـاه الذى اتخـذاه بن و (البدينة)) .

بن ؟ بن ؟

(ينسدل الستار ببطء)

الفصل الثانى

المشهد الأول

(المشهد الأول) .

فى شارع خلفى وراء الميدان الرئيسى للمدينة ، يقع حانوت متواضع فسيح ، علقت على حافته العليا لافتة كتب عليها : « جانت النحات » . وعلى بعد من الحانوت تبدو معالم نزل ديكسيلاند . وفى داخل الحانوت توجد ألواح من الرخام والجرانيت ، وبعض نصب تذكارية تامة الصنع .... وآنية ، وتمثال لحمل رابض ، وعديد من تماثيل الملائكة . وأبرز ما بالحانوت تمثال ملاك رقيق النحت مصنوع من رخام كارارا الايطالى الناصع البياض ، له ستار من أشعة الشمس . ويشاهد فيه يوجين ، مرتديا أحدى ميادع (مرايل) ابيه ، وهو يدير بقدمه بدال عجلة لصنفرة الأحجار . وفى الجانب الآخر من الحانوت، توجد غرفة مكتب بها نضد كالح اللون ،عليهتليفون. وهناك ستار يفصل غرفة المكتب عن غرفة خلفية آخرى . وفى أعلى المسرح طريق جانبى للمشاة يجرى بين الحانوت وبين سور أقيم من الأوتاد .

وبجوار غرفة المكتب مقعد حجرى ، نقشت عليه هذه العبارة : « استرح هنا فى سلام » .

تدخل ألزا من الطريق . وقد بدأ تأنقها فى ثوبها الرث غير متفق مع مشيتها وما اتسمت به من نشاط .

السـزا : (تعبر صوب غرفة المكتب ، ثم تنادى وهى بالداخل).
مستر جانت ! مستر جانت !

يوچين : (يتوقف عن ادارة العجلة ، ثم يصيح !
أبى ليس هنا الآن ، يا أماه .

السـزا : (تقترب من يوچين فى اللحظة التى كان ينفخ فيها مصادفة بعض غبار الرخام فيصيب وجهها) .
أين هو ؟ أنت تعلم ــ ياچين ــ أننى لا أستطيع تحمل هذا الغبار المتخلف عن الرخام ــ هلا خرجت الى هنا حيث أستطيع التحدث اليك ؟
(يوچين يتجه اليها فى مهل وهى تستطرد فى حديثها).
وفضلا عن هذا ، فاننى لا أطيق ألا أرى وجه من أخاطبه ؟ أستحلفك بالله ، أن تكون أنيقا ، أيها الغلام ــ كم من مرة على أن أقول لك هذا ؟ أشدد قامتك ــ كانك ذو مكانة . وابتسم ، كن بشوشا .
(يفتر ثغر يوچين عن ابتسامته البلهاء المعهودة) .
أوه ، تبا لك ! أرجو الا يكون والدك قد ذهب ثانية الى حيث تعرف .

يوچين : لقد ذهب ليشترى جريدة لما ينشر فيها من أنباء الوفيات .

السـزا : يا لعزيمته واقدامه ! ولو أنه لن يواظب على هذا طويلا . أوه كلا ، فهو يقول أن الاتصال فورا بمن فجعوا فى ذويهم لهو ضرب من ابتزاز المال بالاكراه . انى لأجاهر بأن صناعة القبور لم تعد ، على أية حال ، عملا مربحا ، فما أقل من يموت من الناس فى عصرنا هذا .
(تتهاوى جالسة على مقعد حجرى ، مستلقية عليه بظهرها) .

أقول لك : ان الاحساس بالراحة شعور لذيذ . لكم أتمنى أن يتسع لى من الوقت ما لبعض النـــاس . فأستطيع الجلوس فى الخلاء وأنعم بالهواء الطلق .

(تلحظ يوچين متطلعا الى ثوبها فى حين يعمل فىنقش الحروف على لوح من الرخام) .

الام تنظر ؟ ليس هناك ثقب فى الثوب ، أليس كذلك ؟

يوچـين : لقد لاحظت أنك عدت ثانية الى ارتداء الثوب الذى تخرجين به عندما تسعين الى عمل يتعلق بالتجـــارة وبالصفقات .

الـــزا : ماذا تعنى من وراء ذلك يا يوچين ؟ ألا أبدو على ما يرام؟ يعلم الله أننى أحاول دائما أن أبدو أنيقة محترمة .

يوچـين : على مهلك ، يا أماه !

الـــزا : ماذا ! انى أقول بملء فمى اننى أستطيع أن أرتدى ثيابا أفضل من هذا ، ولكن قوانين المهنة تقتضى الا اظهر فى بعض الأماكن بأحسن ما عندى من الثيـــاب ! أوه ــ ياچين ــ أيها الذكىاللماح ! ان مستقبلا زاهرا ينتظرك، يا صغيرى .

يوچـين : أماه ، أى مستقبل هذا الذى أستطيع أن احققه دون أن أحصل على حظ من التعليم ؟

الـــزا : تبا لك ، أيها الصبى ، لسوف تنال تعليمك اذا ما تمت مشروعاتى وتحققت ؟ وبرغم هذا ، فأنا اقول لك : انه لن يضيرك أن تعمل فى مكتب عمك ويل فى هذه الفترة ، أليس كذلك ؟

يوچـين : لا علم لى بالعقارات ، يا أمى .

الـــــزا : وماذا عليك أن تعرف ؟ ان الشراء والبيع غريزة ، وقد وهبها الله لك . سأكون لك عينا ترى بها ، وذاكرة تعي، وهذا هو المهم . وفيم كل هذا ، فما من احصاء جوهري عن أية نسمة تعيش في مدينـــة « آلتمونت » الا وقد أودعته رأسي . فأنا على علم بما يفعلون ، وما هـــم مدينون به ــ وما يخفون ، وما يعلنون !

(تضحك مستمتعة بهذه المهارة) .

أتدري ، يا يوچين ، أنني شاعرة أيضا ــ شاعرة من حيث لا أدري ، ان سلوكي يدل على ذلك فانه سلوك شاعر عظيم !

(تستلقي مقهقهة) .

أوه ، يا عزيزي . لقد عجزت أن أجعلك تبتسم هــذا الصباح . لقد كنت غريب الأطوار طوال الأســبوع المــاضي .

(تنهض ، ثم تلكزه في ظهره) .

چين ، قف مشدود القـــامة . فاذا ما سرت محنى الظهر ، فانك يقينا سوف تعاني مرضا في رئتيك ، كما حدث عند ولادتك .

(تنتقل الى أعلى المسرح ، ثم تنظر صوب الميدان الرئيسي حيث تتوقع وجود جانت) .

وهذه بعض صفات أبيك : انه كان يسير دائما منتصب القامة كالعصا . وان لم يعد الآن مشدود القامة كما كان من قبل ــ ماذا حدث ، ياچين ، تقف على قــدم وتستبدل بها الأخرى ؟ هل من ضرورة لذهابك الى دورة المياه ؟

يوچـــين : أماه ! اتطلبين الى ذلك وقد بلغت هذا العمر !

الــــزا : اذن ، لم تتململ ؟ وقل أن تسنح لنا فرصة طيبة كهذه نتجاذب فيها أطراف الحديث .

يوچــين : ان أبى يدفع لى ثلاثين سنتا فى الساعة عن العمل !

الــــزا : يدفع لك ؟ وكيف استطعت الى ذلك سبيلا ؟

يوچــين : لقد قلت له اننى فى حاجة الى نقود .

الــــزا : بحق السماء ، وفيم هذا ؟ ولك ما تسكن وما تأكل ؟

يوچــين : ألا ترين أننى فى حاجــة الى ملابس جــديدة لسبب أو لآخر ؟

الــــزا : تبا لك ! ملابس جديدة وأنت تنمو هكذا سريعا ؟ أى نفع من وراء هذا .

(تزم شفتيها ، وتلقى اليه بنظرة لها مغزى) .

هل راح صغيرى يتخذ لنفسه فتاة ؟

يوچــين : وما ضير هذا ؟ ماذا لو كان هذا صحيحا ؟ أليس لى من الحق ما لأى أحد ؟

الــــزا : تبا لك ! فأنت من حداثة العمــــر بحيث لا يصح لك التفكير فى الفتيات ، وبخاصة مس چيمس هذه . فهى تكاد تكون امرأة مكتملة النضج اذا ما قورنت بك . لا أظن أنك تدرك كم أنت صغير السن ، قد يغرك طول قامتك وكثرة قراءتك للكتب .

(يسمع صوت سيارة . تطل الزا الى الخارج) .

تبا لك ! هذا عمك ويل قد جاء الى . وعلى أى حال ؛ فكم وقتا يستغرقه أبوك ليشترى جريدة ؟

يوچــين : لقد قال لى أنه سيعود فورا . أهناك أمر هام ؟

الـــزا : أوه ، عندى ياچين خطط ومشروعات . مشروعات من أجله ، بل من أجلنا جميعا . حسنا ، أخبره أننى سوف أعود . أو ... دعنى أفكر ... لا تخبره ، فلى معه لقاء ، أحب أن تحضره أنت أيضا . هيا اجتهد فى عملك ، يابنى !

(الزا تخرج ، ثم تغادر السيارة المكان . يقترب يوچين من تمثال ملاك كارارا ، ثم يلمس الثنيات على ثدى التمثال . يدخل جانت ، وكان قد احتسى عدة أقداح من الجعة ، ولكنه لم يكن مخمورا ، فيراقبه مبتسما . يوچين يشعر بوجود أبيه ، فيجفل كأنما قد أتى اثما) .

جانت : لقد أتى على وقت فعلت فيه أنا نفسى ذلك مرات كثيرة يا بنى ـ حسنا ، ماذا كانت تبغى والدتك أن تقول ؟

يوچين : هل أبصرتها ؟

جانت : لقد كنت منتظرا فى حانة « لوجران » حتى تغادر الحانوت . يا لها من امرأة ثرثارة مملة !

يوچين : لقد قطعت على نفسك وعدا للطبيب أنك لن تذهب الى حانة « لوجران » .

جانت : (مرتديا ميدعته « مريلته ») .

أى فرق يحدثه هذا ؟ ان قدحين من الجعة لن يزيدا شيئا على ما أصابنى . أكان ذلك هو عمك ويل الذى اصطحبها عند خروجها ؟

يوچين : نعم .

جانت : كذا ! وهل قالت انها سوف تعود ؟

يوچين : نعم .

جانت : لقد عرفت فيم ذهبت اليه . لسوف تعود وقد طوت فى صدرها مستندات لم يجف حبرها بعد . نعم ، فأنت عندما تلمس صدر مس الزا ، لتحس بطقطقة حـــادة تحدثها وثائق البيع ومستنداته ، وهو شىء يختلف عما تحسه عندما تلمس هذه الفتاة الملاك ... لقد أخذت هذه الملاك تبدو أفضل بعد غســلها ، أليست كذلك ؟ لقد أهملتها فى الفترة الأخيرة . عجبا ، كم هى متألقة مشرقة !

يوچـين : (يجلس عند قاعدة الملاك) .

أبى ، لقد كنت صغير السن عنـــدما تزوجت ، أليس كذلك ؟

جانت : مـــاذا ؟

يوچـين : متى تزوجت ؟

جانت : كان ذلك منذ واحد وثلاثين عاما مريرة عندما جاءت امك تتلوى نحوى وتتثنى فى ذلك الركن من الحانوت كالأفعى الرقطاء عندما تزحف على بطنها ..

يوچـين : لا أقصد أمى . أعنى كم كان عمرك عندما عقدت قرانك الأول ؟ ... على سينثيا .

جانت : أستحلفك بالله ، أفضل لك ألا تدع أمك تسمعك تفوه بهذا الاسم .

يوچـين : أود أن أعرف ... كم كان عمرك ؟

جانت : حسنا ، لابد أننى كنت قد بلغت الثامنة والعشرين . آه ، ياسينثيا ، يا سينثيا .

يوچـين : وكنت تهيم بها حبا ، أليس كذلك يا أبى ؟

جانت : لقد كانت رائعة الحسن حقا . وديعة ، نبيلة ، أبية ، فضلا عن أنها كانت آية فى الرقة والعذوبة لقد طواها الموت وهى فى ريعان شبابها .

يوچين : لقد كانت تكبرك سنا ، أليس كذلك ؟

جانت : نعم ، كانت تكبرنى بعشر سنوات .

يوچين : عشر سنوات ! بيد أنه لم يكن لهذا الفارق من أثر ، أليس كذلك ؟

جانت : (فى ثقة) .

لقد كانت عجوزا شمطاء ، نحيلة هزيلة ، مسلولة ، خسيسة ، كادت تخرجنى عن صوابى !

يوچين : (مصدوما) .

اذن ، لم تتحدث عنها بهذه الطريقة التى تعودتها مع أمى ؟

جانت : لأننى ابن سفاح ، ياچين . اننى ابن سفاح !

(لورا تدخل ، حاملة سلة خاصة بالنزهات . وتنم حالتها عن بعض القلق) .

أخبرنى ، أليست هذه الحسناء الصغيرة تبحث عنك ؟

يوچين : لورا !

لورا : أهلا بك ، يا مستر جانت !

جانت : مرحبا بك !

لورا : أهلا بك — يا چين . اذن فهذا هو حانوتك !

جانت : انها لفرصة طيبة حقا . اذ قليلا ما أرى الناس مبتسمين هنا ، ألم تسأمى بعد المقام فى بلدتنا الصغيرة ، أيتها الشابة ؟

لـــــورا : لقد بدأت فقط استمتع بها .

جانت : وماذا تجدينه فيها لتنعمى به ؟

لـــــورا : أوه ، ان الريف رائع جميل . لقد انطلقت أنا وچين فى جولات بهيجة فى الربى والتلال .

جانت : أوه ، اذن فهو چين الذى جعل اقامتك هنا شيئا بهيجا؟ يا للبهجـــة !

يوچـــين : (وهو يخلع ميدعته « مريلته »)
أبتـــــاه !

جانت : أنت مفرمة بچين ، أليس كذلك ؟

لـــــورا : انه آية فى الظرف ، غاية فى الذكاء .

جانت : أنه ولد طيب ــ فهو أحسن أبنائنا .

لـــــورا : (متطلعة حولها) .
عجبا ، أليس هذا المكان شائقا ؟ كيف تأتى لك ــ يامستر جانت ــ أن أصبحت نحاتا ؟ .

(يوچين يتفحص لورا أثناء حديثها مع أبيه ، فيدرك أنها تتجنب النظر اليه) .

جانت : حسنا ، أحسب أنك تستطيعين أن تعتبرى هذا شغفا أو انفعالا يواجه بعض الناس . فقد حدث عندما كنت صبيا فى عمر چين ، أن مررت بحانوت يشبه هــذا الحانوت .

(ثم يتجه بحديثه عن الملاك) .

وكان هذا الملاك بذاته هناك . فهو قد قدّ من رخــام كارارا الايطالى . وعندما نظرت الى وجهه الباسم ، أحسست أكثر من أى شىء آخر فى الوجود ــ أننى أريد

أن أمسك بالأزميل لانحت فى رقة . وبدا لى الأمر ، أنه اذا كان فى استطاعتى نحت هــذا التمثــال ، فاننى أكون قد أبرزت شيئا من ذات نفسى تنطق به هذه القطعة من الرخام . أوه ، ان ذكريات الشيوخ تضجر الشباب دائما .

لــورا : كلا ، انها ليست كذلك .

جانت : وهكذا دلفت الى ذلك الحانوت ، وسألت النحات عما اذا كنت أستطيع أن أصير له صبيا . حسنا ، لقد عملت هناك خمس سنوات وعندما تركته ، اشتريت هــذا الملاك .

(ينظر الى الملاك فى شوق) .

ومنذ ذلك الحين ، وهو لا يغيب عن ناظرى . انى لأراهن أننى قد شرعت فى نحت عشرين قطعــة من الرخام ، ولكننى ما استطعت قط أن أجعلها تنطق بصورتها ... أحسب أنه لا جدوى من المحاولة بعد ذلك ...

(يصمت مهموما . يوچين يلمس كتف أبيه فى تأثر ، ثم ينظر الى لورا) .

يوچين : هل لك فى جــولة تلقين فيها نظرة على الحــانوت ـ يالورا ؟

لــورا : اخشى أن أكون ضايقتك فى عملك .

جانت : (ينظر الى يوچين . وهو يفيق من غيبوبته وشرود فكره) .

كلا ، كلا . دعها تتفرج على الحانوت ـ ياچين .

(بغتة ، وبصوت قاطع) .

لدى بعض أشياء أخرى على انجازها ...

(ينهض تجاه غرفة المكتب ، ثم يتوقف) .

وان كان بعض الناس يجدون فى التطلع الى القبور أمرا يغم النفس ويحزنها . فانها مآلنا جميعا نتجه اليه فى النهاية .

(جانت يخرج) .

يوچين : لم تعتقدين أنك قد تكونين مصدر ازعاج لى ؟

لورا : المفروض أنك مشغول بعملك .

يوچين : لقد أتيت لرؤيتى . ماذا حدث يالورا ؟ انك جد مختلفة اليوم .

لورا : أوه ، لا تلق بالا الى . كدت أن . . . لا أعرف .

يوچين : وماذا تحتويه هذه السلة ؟

لورا : لقد طلبت الى هيلين أن تضع لنا فيها غذاء فى نزهتنا .

يوچين : عظيم ، هيا بنا !

لورا : (تضع السلة على لوح من الرخام) .

لم يحن الوقت بعد .

يوچين : (يطوقها بذراعيه) .

ماذا هناك ، يالورا ؟ ماذا حدث ؟ هل من خطأ فعلته ؟

(تهز رأسها) .

لورا : چين ، ان هيلين تعرف ما بيننا ! ووالدك أيضا .

يوچين : لست أعبأ بهذا ــ فليعلم به العالم طرا .

(يلتقط السلة) .

ها نحن أولاء ، هيا بنا .

لورا : كلا ، فلنكف عن الحديث فى هذا .

(تجلس على مقعد لا مسند له ، قريبا من اللوح الرخامى) .

هذا رخام جميل ، من أين يجلب ؟

يوچين : لورا ، أيعنيك كثيرا من أين يؤتى بهذا الرخام ؟

لورا : (تشرع فى البكاء) .

أوه ، يا چين . لكم أشعر بالخجل ! لكم أشعر بالخجل !

يوچين :

(يجلس بجوارها على لوح الرخام) .

عزيزتى لورا ، ماذا دهاك ؟

لورا : چين ، لقد كذبت عليك ــ فأنا أبلغ الثالثة والعشرين من عمرى .

يوچين : أهذا كل ما هنالك ؟

لورا : وأنت أيضا لست فى التاسعة عشرة . أنت فى السابعة عشرة .

يوچين : اننى قد اختزنت لك حبا ، حب عمر طويل يبلغ ألف سنة .

ان عمرى ألف سنة ، عمر الحب الذى حملته لك فى قلبى .

(يطوقها ثانية بذراعيه) .

لورا : (تقاومه للتخلص منه) .

أنا امرأة تكبرك سنا . . .

يوچين : أستحلفك بالله ، وما شأن هذا بنا ؟

لورا : لا مندوحة لنا من مراعاة التقاليد !

يوچين : ان التقاليد قد أقامها قوم ملأت الغيرة قلوبهم . لقد وضعوا للحب قواعد وأحكاما تتيح حتى لأولئك الذين ليسوا أهلا له أن يتظاهروا به على الأقل . ولسنا فى حاجة الى ادعاء . اذ ليس ثمة ما يدعونا الى التظاهر بحبنا . أوه ، حبيبتى لورا ، ان حبنا جميل ، نادر الوجود . . . كم مرة فى الحياة يوجد حب كهذا ؟

لـــورا : (تفلت من ذراعيه ، ثم تنهض) .
يوچين ، أنت صبى صغير ، ان عالما بأسره فى انتظارك .

يوچـين : أنت عالمى يالورا . ولسوف تكونين عالمى دائما أبدا .
لا تدعى شيئا يحطمنا ـ لا تتركينى وحيدا . فقد كنت دائما فى وحدة موحشة .

لـــورا : هذا ما تبغيه ـ يا عزيزى . هذا هو ما تبغيه دائما .
ما كنت لترضى شيئا غير هذا . سوف تسأمنى وتملنى .
سوف تنسى . سوف تنسى .

يوچـين : لن أنسى أبدا . ولا أعتقد أن عمرى سيطول حتى أنسى.
(يحيطها بذراعيه ، ثم يقبلها) .
أسوف تنسين ؟

لـــورا : (وهو يمسك بها) .
أوه ، يا حبيبى ، كل كلمة ، كل لمسة منك ، كيف لى أن أنسى ؟

يوچـين : اذن ، ما من شىء قد تغير . أتغير شىء ؟ أتغير شىء ؟
صوت مدام اليزابث .
(من بعيد) .
صباح الخير !

(من الشارع تدخل مدام اليزابث وهى سيدة فى الثامنة والثلاثين ، يملأ اسمها المدينة ، وترتدى فى ملابسها أحدث الازياء . تبصر يوچين ولورا ؛ فتتقف يوچين ولورا يبتعدان بعضهما عن بعض) .

يوچـين : صباح الخير ، يا مدام اليزابث .

مدام اليزابث:
هل مستر جانت بالحانوت ؟

يوچـين : انه بالداخل .

مدام اليزابث :

حسنا ، لا أحب أن أقطع عليكما ما تفعلان .

(تقترب من غرفة المكتب ، ثم تنادى) :

مستر جانت !

(لورا ويوچين يخرجان الى ساحة الرخام . يدخـل جانت مرتديا (بنطلونا) أفضـل مما كان يرتديه من قبل ، وهو يربط رباط عنقه) .

جانت : اليزابث ، عزيزتى اليزابث ! حقا ، انها لمفاجأة !

(يشد على كلتا يديها) .

مدام اليزابث :

(تجيل بصرها فيه ، تفحصه بنظرة تنم عن عطف وحنان)

ست سنوات ، يا جانت . ست سنوات . اللهم الا من ايماءة فى الطريق . ايه أيها الزمن ، يا لك من لص .

جانت : لم يسلبك الزمن شيئا ــ فما برح حسنك رائعا ، وزيك أنيقا كعهدى بك . هل لك أن تتفضلى بالجلوس .

مدام اليزابث :

أوه ، يا جانت ــ أنت وأساليبك التى تتودد بها الى قلوب النساء . ولكننى لست القطة الصغيرة التى عهدتها من قبل ، وليس أحد يدرك هذا أفضل منى أنا . حسبك لو علمت كم نتحدث عنك هنـالك فى حانة « ايجـل كريسنت » . كنت يا لك من رجل ! همجى ! باخوس آله الخمر بعينه ! أتذكر الأغنية التى اعتدت أن تنشدها ؟

جانت : لم تكن الحياة فى تلك الأيام الخوالى الا عديدا من الأغانى ــ يا اليزابث .

مدام اليزابث :
ولكنك عندما كنت تعب من الخمر ما يكفى ـ هل تذكر؟
لا أستطيع طبعا أن أرفع صوتى بالأغنية كما كنت تفعل
أنت .

(تغنى ، مقلدة جانت . فينضم اليها جانت) .

هناك فى تلك الحجرة الخلفية العليا ، أيها الفتيان .
هناك فى تلك الحجرة الخلفية العليا .
كل تلك القبلات ، وكل تلك الأحضان .
بين جماعات البق ، وأسراب الصئبان .
فى كآبة المساء الحزين ، أيها الفتيان .
أرثى لمصيركم الأليم ...
هناك فى تلك الحجرة الخلفية العليا ، أيها الفتيان .
هناك فى تلك الحجرة الخلفية العليا .

(كلاهما يضحكان ، ويعبث جانت فيضربها ضربة تنم
عن الود والحنان) .

جانت : ان المرء ليأسى على أن هذه الأيام قد ولت ـ يااليزابث.

(وهى تجلس على المقعد) .

أوه ، يا جانت ! لكم أوحشتنا كثيرا !

جانت : (وهو يشاركها فى الجلوس على المقعد) .
وكيف حال الفتيات جميعا ، يا اليزابث ؟
(وقد أكتأبت بغتة) .
وهذا ما جئت من أجله اليك ، فقد افتقدت واحدة
منهن ليلة أمس .

(تخرج منديلا من جيبها تضعه على فمها لتكتم
نحيبها) .

جانت : أوه ، يؤسفنى سماع ذلك .

مدام اليزابث: لم تمرض سوى ثلاثة أيام . ولكم كنت أود أن أفعل أى شىء فى الوجود من أجلها . لقد أشرف عليها طبيب وممرضتان خبيرتان وقفتا بجوارها طول الوقت .

جانت : يا للأسف ، يا للأسف . أية واحدة هذه ؟

كنا ندعوها للى ، مذ كنت تتردد علينا ــ يامستر جانت .

جانت : تشه . . . تشه . . . تشه . . . للى .

مدام اليزابث: لو أن للى كانت ابنتى لما أحببتها أكثر مما كنت أحبها . لم تكن الا طفلة فى الثانية والعشرين ربيعا . وليس لها من قريب يفعل شيئا من أجلها . ماتت أمها وهى فى الثالثة عشرة من عمرها ، وكان أبوها الكهل ابن سفاح خسيسا لم يأت اليها ، ليقف الى جوارها وهى على فراش الموت .

جانت : وسوف يلقى عقابه .

مدام اليزابث: ايمانى بذلك لا يعادله الا ايمانى بوجود عدالة فى السماء ــ ذلك الكهل وليد السفاح الذى أتمنى هلاكه ! فتاة جميلة كهذه ، ذات مستقبل مشرق .. قد واتتها من الفرص ما لم تتح لى قط ــ وأنت تعلم ما حققت فى هذه المدينة . فأنا اليوم امرأة غنية . جانت ، ولماذا ، فانه حتى زوجتك لا تملك قدر ما أملكه . معذرة ــ أرجو ألا يضايقك حديثى عنها .

(يشير اليها جانت بحركة لتستطرد فى حديثها) .

فأنا ومسز جانت كلانا يدرك أنه ما من شىء يرفع هامة المرء الا ثراؤه . وكان فى مقدور للى أن تحقق كل ذلك أيضا . يالك من مسكينة يا للى من يدرى الى أى مدى سنفتقدها .

(فترة صمت من جانت احتراما لحزنها) .

جانت : أعتقد أنك ستحتاجين شيئا لقبرها ؟

(تومىء مدام اليزابث براسها . فينهض واقفا) .

هاك حملا وديعا . . . ندعوه بالحمل الرابض . انه ملائم لها تماما .

مدام اليزابث: كلا ، فقد استقر رأى . . .

(تنهض واقفة ، ثم تتجه صوب ملاك كارارا) .

أريد هذه الملاك .

جانت : أنت لا تريدين هـذه ، يا اليزابث . ولم ، فهى نادرة كالفيل الأبيض . وما من أحد يستطيع شراءها !

مدام اليزابث: انى لقادرة على شرائها ، فاننى أريدها .

جانت : عزيزتى اليزابث ، عندى ملائكة أخرى أجمل وأروع . ما رأيك فى هذه ؟ لقد قمت أنا بنحتها .

مدام اليزابث: كلا ، فمنذ أن وقعت عيناى لأول مرة على هذا الملاك ، أخذت أفكر ، انه اذا كان هناك من يفكر فى شىء يقيمه فوق قبرى ، فان هذا الشىء لا يكون الا هذا الملاك .

جانت : هذا الملاك ليس للبيع ، يا اليزابث .

مدام اليزابث: اذن ، لم تعرضه هنا فى الخارج ؟

جانت : الحق أننى قطعت وعدا لبعض الناس بهذا الملاك .

مدام اليزابث: سوف أشتريه من هؤلاء الذين وعدتهـم به أيا كانوا وسوف أجزل لهم الربح . وسأنقدهم ثمنه فورا . لمن قمت ببيعه ؟

جانت : عزيزتى مدام اليزابث . هاك وعاء مصريا بديعا نفيسا . ان محبوبتك للى لتود ذلك الوعاء .

مدام اليزابث: أوان مصرية ــ أف لك ! أوعية البازلاء هذه ؟ اننى أريد هذا الملاك !

جانت : (وقد ازداد صوته حدة) .
انه ليس للبيع ! سوف أعطيك أى شىء ترغبين فيه.. كل شىء تريدينه ... سوف أهديه اليك ، من أجل تلك الأيام الخوالى ، الا ملاكى !

مدام اليزابث: لا تدعنا نضيع مزيداً من الوقت حول هذا الموضوع . كم ثمنه ، ياجانت ؟

جانت : انه من رخام كارارا الايطالى ، وأثمن من أن يكون لأية بغى ! (مناديا)
يوچين ... يوچين !

مدام اليزابث: (وقد استشاطت غضبا) .
ولم أيها الكهل الفاجر الداعر ، كيف لك أن تجرؤ فى التحدث الى هكذا ؟

يوچين : (يدخل مع لورا) .
ماذا ، يا أبى ؟ ما الأمر ؟

مدام اليزابث: ان أباك كهل عنيد صلب الرأس ، هذا هو الأمر ؟

جانت : (عابرا تجاه المكتب ، ثم يستدير)
يؤسفنى أننى أثرت غضبك .

مدام اليزابث: لقد أثرت غضبى ، يا جانت ، بشدة !

جانت : چين ، هل لك أن تتكرم فترى ما يمكن أن تقدمه للسيدة ؟

(يخرج من الباب الداخلى فى حجرة المكتب) .

مدام اليزابث: لقد بلغنى ما تعانيه أمك من شقاء وبلاء من هذا الكهل الرهيب ــ وانى لمصدقة الآن كل هذا ! كل ما طلبته منه هو أن يبيع لى هذا الملاك ــ من أجل احدى فتياتى العزيزات التى اقتطفتها يد المنية ــ فتاة يافعة فى زهرة حياتها ...

(مشيرة الى لورا) .

... كهذه الفتاة الصغيرة التى هنا .

يوچـين : اعتقد ـ يا مدام اليزابث ـ ان أبى يحتفظ بتمثال هذا الملاك ليقيمه على قبره .

مدام اليزابث: (تجلس على المقعد) .

أوه ، أوه ، لم لم يخبرنى بذلك ؟ لم لم يقل لى ؟ يا لك من بائس مسكين يا جانت . حسنا ، فى هذه الحالة طبعـا . . .

(تفيق الى نفسها شيئا ما ، ثم تتحدث الى لورا).

اذا كان لا مناص لك ـ يا عزيزتى من أن تفكرى فى أمر منيتك ، أعنى اذا استطعت ذلك ، ونحن لا نعلم أبدا متى تحين ساعتنا ، لا نعلم أبدا متى تحين ساعتنا ـ فهل يوجد فى الحانوت ما يلقى قبولا لديك !

لـــورا : (تتطلع حولها) .

اود أن يكون هذا الحمل الصغير .

مدام اليزابث: ان الحملان لا تقام الا فوق قبور الأطفال ، أليس كذلك؟

يوچـين : (يميل خلف الحمل) .

ان الحملان تقام فوق ضريح أى شخص . ضعى يدك عليه ، تحسسيه .

(يتناول يد مدام اليزابث ، ويربت بها على تمثال الحمل) .

ألا يتسم بالهدوء ، والدعة ، والاطمئنان ؟ وفى استطاعتك حفر قصيدة من الشعر على قاعدته .

مدام اليزابث: قصيدة . . .

يوچـين : دعينا نبحث لك عن قصيدة تكون محبوبة لديك .

(يأخذ كتابا) .

هاك كتابا يضم خمسين مرثية رائعة .

(مدام اليزابث ما زالت تربت تمثال الحمل .
يوچين يعثر على قصيدة) .

ترى هل تحبين هذه ...

(يقرأ) .

لقد رحلت عنا بعيدا فى نضرة الصبا .
رحلت ، قبل أن تتمتع بالشباب ...
قبل أن تتنسم الحياة أنفاسها ، وقبل أن يقضى الحب
سويعاته .
الله ناداها ... وهى لبت نداه .

(مدام اليزابث تنشج بالبكاء) .

وحملت الريح منها همس الايمان ...
لم يحزن عليها انسان !!
لقد تركت الحب ، وذهبت لتلاقى ...
حبا أعظم فى السماء ...

مدام اليزابث:

(تستعيد أبيات القصيدة ، ترددها من خلال دموعها
الصادرة من أعماق قلبها) .

لقد تركت الحب ، وذهبت لتلاقى ...
حبا أعظم فى السماء ...

(تنهض ، ثم تخاطب يوچين) .

أرجو ، أيها الغلام ، ألا ترى مكروها فى عزيز لديك .
حسنا ، دعنى أعرف حينما يتم اعداد تمثال الحمل
الصغير الراقد .

(تومىء برأسها الى لورا فى كبرياء وعظمة . ويل
والزا يدخلان ، ويتطلعان من بعيد الى حيث خرجت
مدام اليزابث) .

الــــزا : لا تتبعها وتحملق فيها هكذا ، يا ويل ! فأنت تعرف من تكون هذه .

(مخاطبة يوچين) .

أجاءت هنا هذه المرأة الصفيقة لترى أباك ؟

يوچـين : لقد توفيت احدى فتيات حانة « ايجل كريسنت » . فابتاعت لها نصبا تذكاريا .

الــــزا : أوه ، أو فعلت هذا ! فاشترت احداها ! حسنا ، لاشك أنه لا مندوحة لوالدك من التعـــامل مع كل ضروب الناس . ويل ، ادخل وأخبر مستر جانت أننا هنا .

(ويل يخرج ، الزا تنظر الى لورا) .

أوه ، يا مس چيمس ! لم يبق سوى دقائق خمس على موعد الغداء فى نزل ديكسيلاند ، وأنت تعرفين ما يترتب على التأخير .

يوچـين : (يتجه الى السلة ليأخذها) . سنذهب أنا ولورا لتناول الغداء فى الخلاء .

الــــزا : كلا ، ليس الآن .

(مخاطبة لورا) .

أود يا عزيزتى أن أتحدث حديثا خاصا مع مستر جانت ــ ومع يوچين أيضا ، وقد طلبت الى بن أن ينضم الينا فى هذا الحديث .

يوچـين : لقد رتبنا أمورنا ، يا أماه .

الــــزا : انه اجتماع عائلى ، يا بنى .

لــورا : أرجوك ، يا چين ــ سوف أنتظرك فى مقهى «وودرف». أرجــوك .

(لورا ويوچين يسيران بعيــدا ، متهامسين . ويل يخرج من غرفة المكتب ، وهو يقضم أظافرة) .

الـــــزا : أهو هناك بالداخل ؟

ويـــــل : انه هناك . لقد ضاق الخناق عليه .

(يقهقهان ضاحكين . بن يدخل ، وقد بدا عليه أنه مريض محموم) .

بن : مرحبا ، ياعمى ويل . مرحبا ، يا أماه . ماذا اشتريتما اليوم ؟ يبدو أنكما قد ازدردتما خمسين أو ستين فدانا.

الـــــزا : لا ، يا بن ، ان ما حدث بيع لا شراء . وأتمنى أن يتم هذا على أية حال .

بن : علام كل هذا ؟

الـــــزا : كل ما عليك أن تجلس هناك . وقد لا أحتاج اليك . ولكنى أريدك أن تكون هنا .

بن : (يجلس عند قاعدة الملاك) .
أرجو الا يستغرق هذا الأمر وقتا طويلا .

(يدخل جانت ، وعليه معطف من الصوف الأسود قد نظف بعناية ، وربطة عنق ، وهو يحمل قبعتهالتى تعود ان يتركها داخل غرفة المكتب) .

جانت : صباح الخير ، يا مس الزا .

الـــــزا : عجبا ، يا لرشاقتك ! لا أصدق ما أرى ، كأنما تجمع بين الماء والنار ؟

جانت : لقد علمت أنك جئت الى هنا ، يا مس الزا . قلما أحظى بزيارتك !

(يشير اليها بيده علامة التقدير والاحترام) .

الـــــزا : انه لكرم عظيم . فلتجلسوا جميعا الآن . اجلس ياچين! تفضل يا ويل !

(يدخل يوچين ، ثم يجلس . ويل يجلس على درج غرفة المكتب . جانت يحرك مقعدا الى منتصف المكان) .

والآن ، يا مستر جانت ...

جانت : أهو واحد من اجتماعاتك التى تنهين فيها عن الخمر ؟

الـــزا : (وقد بدت عليها بعض الدهشة) .

مشكلتنا الخاصة بالنهى عن الخمر ... أليك جزءا منها ... كم عمرك يا مستر جانت ؟

جانت : لا أستطيع أن أتتبع ما تقولين .

الـــزا : انك ستبلغ الستين فى ديسمبر . ولو أن الدكتور ماجوير كان هنا الآن ، لأخبرك ...

جانت : لقد سمعت ما كان على الدكتور ماجوير أن يخبرنى به . فعلى أن أكف عن رفع هذه الألواح الرخامية ، ولابد لى من أن أقلع عن معاقرة الخمر ، ولا مناص لى من راحة لطيفة طويلة ...

الـــزا : اذن فأنت توفر على كثيرا من الجدال فى هذا الشأن . والآن ، يا چين ...

يوچـين : نعم ، يا أماه ؟

الـــزا : أنت راغب فى الالتحاق باحدى الكليات ؟ أليس كذلك ؟

يوچـين : وأية رغبة !

الـــزا : حسنا ، لقد قمت بحساب ما سوف يكلفنا تعليمك بكلية « تشابل هل » مدة أربع سنوات فوجدتها ثلاثة آلاف وأربعمائة دولار — ولكن عليك طبعا أن تقوم بالخدمة على الموائد ، والا ارتفع الى أربعة آلاف

وأربعمائة دولار ، وهو أمر يدعو الى السخرية ـ اذ أننا لا نملك هذه اللحظة حتى هذا المبلغ وهو ثلاثة آلاف وأربعمائة دولار .

جانت : أوه ، أستحلفك بالله ـ يا مس الزا ـ الا طرقت صميم الموضوع . هل تسلمت المستندات من البنك ؟

الــــزا : (تقف فى مواجهته) .
لماذا ؟ ماذا تعنى بهذا ؟ أية مستندات ؟

جانت : أنت تعرفين ما أعني ، فلتخرجيها يا امرأة !
(مشيرا الى صدرها) .
هيا ، أخرجيها .

(الزا تستدير بظهرها ، ثم تخرج من صدرها ظرفا كبيرا فيضحك جانت ضحكة مريرة مدوية ، ثم يثب الى يوچين الذى يشاركه فى الضحك) .

الــــزا : (غاضبة) .
بالله ، ماذا يثير الضحك ، أيها الثعلبان الماكران ؟

جانت : أوه ، يا مس الزا ، انها نكتة حلوة ـ كما تقولين ـ انها نكتة حلوة .

الــــزا : حسنا ، يسعدنى أن أراك معتدل المزاج .

جانت : اذن فالمصرف يريد شراء قطعة الأرض الصغيرة هذه ؟ هذا ما أخبرتنى به ، أو ليس كذلك ؟ وان كنت لا أرى سببا لهذا قط ؟

ويــــل : ان شارعا تجاريا جديدا يشق هنا خلال الشهور القليلة القادمة .

جانت : دعينى أر الشيك .

الـــــزا :

(تخرج الشيك من الظرف وتناوله اياه) .

حسنا ، أنه شيك بمبلغ عشرين ألف دولار . لقد كان على ويل أن يقوم بضمانى بصفته الشخصية لأحضره . هل شاهدت من قبل شيئا من هذا القبيل : اثنان ـ صفر ـ فصلة ـ صفر ـ صفر ـ صفر ـ علامة عشرية ـ صفر ـ صفر ـ

جانت : أن الشيك صحيح على ما يرام .

الـــــزا : حسنا ، انه لكذلك ـ وقد قام ويل بفحص العقد ، وهو صحيح أيضا . أليس كذلك ، ياويل ؟

(تناول العقد الى جانت) .

أعطنى قلمك ، يا ويل .

ويـــــل :

(يعطى الزا القلم)

لقد ملأته لتوى .

جانت :

(فاحصا العقد).

انه خط دقيق ... ... ما أحوجنى الى نظارة طبية .

الـــــزا :

(تضـــع القلم على منضدة العمل)

تستطيع أن تثق فى ويل . فقد فحصـــه بندا بندا ـ يا مستر جانت !

جانت :

(يتطلع الى الملاك)

وماذا اتفقتما عليه بصدد البضاعة والنصب الرخامية ؟

السـزا : ان العقد لا يشملها .

يوچين : أبى ــ وهذه السنوات التى أنفقتها هنا ..... وكل أعمالك الرائعة . أرجوك ألا تتخلى عن هذا !

السـزا : اسمع ، يا چين ، ان أباك يعرف ما يفعل .

يوچين : ولكنه نحات عظيم !

جانت : أتعتقد أننى نحات عظيم ، يابنى ؟

يوچين : أليس كذلك ، يا بن ؟

(يهبط جانت الى اليمين صوب ساحة الرخام ، متطلعا حوله) .

السـزا : ان أباك يدرك ما عليه من واجب نحونا ــ ونحو نفسه .

يوچين : ما من مدافن فى الولاية الا وقد امتلأت بأعماله البارزة التى تدل على نفسها بنقائها ، ودقتها ، وجمالها . فيم يتخلى عنه ؟

السـزا : ولماذا يجب عليه ذلك ، اننى لم أتحدث عن تركه العمل كلية . ففى وسعه أن يتخذ حانوتا صغيرا فى ضاحية من ضواحى المدينة !

يوچين : ولكنه قد أصبح من الهرم ، ياأماه ، بحيث لا يستطيع أن ينقل حانوته الى مكان آخر . فهذا هو شارعه الذى عرفه الناس فيه ، وهم يمرون به . فهذا حانوت مستر « جانادو »بجـواره ، وذلك مقهى «وودرف » عبر الطريق ، يعرفهم أبى جميعا ويعرف أماكنهم .

جانت : ولا تنس حانة « تيم لوجران » التى تقع أسـفل العمارة !

السـزا :

(تتجه صوب جانت) .

أوه ، نعم . فهذا سبب آخر يدعو الى التخلص من هذا الحانوت ، حتى تنأى بذلك عن طريق الغواية ، يا مستر جانت .

جانت : (يجلس على لوح من الرخام) .

يقينى اننى أحب البقاء هنا .

يوچين : لا تتخلى عنه ، يا أبى !

بن : فلتسمع الآن . أنت نحات عظيم — ولماذا ؟ ألم أقل لك هذا دائما ؟ ولكن هاقد حان الوقت كى تتقاعد . الا تريد أن يمتد بك العمر ؟

(يجلس بجانبه على لوح الرخام) .

جانت : انه ليخامرنى الشك أحيانا أننى سأعيش طويلا .

الـــزا : حسنا ، انك لسوف تعيش طويلا — واننى لأتمنى لك العمر الطويل — كلنا نتمنى لك هذا ! فالناس يستطيعون التحدث عن رغبتهم فى حياة قصيرة ولكنها جميلة ، ولكننا جميعا نرغب فى أن نعيش ! انظر الى ، فأنا فى السابعة والخمسين من عمرى . وقد ولدت تسعة أطفال ، وقمت بتربية ستة منهم وكدحت طيـــلة حياتى . أود أن أستلقى وأريح نفسى قليلا . وفى مقدورنا هــذا ، يا مستر جانت . حسبك أن توقع على قصاصات الورق الصغيرة هذه ، وأنا أضمن لك فى مدى عام واحد منذ الآن — أن تنسى تماما هذه الساحة المتربة ، المنبعجة ، الصاخبة . ألن ينسى حانوته يا بن ؟ ألن ينسى يا بن ؟

بن : ان هناك أشياء لا يستطيع الآن أن ينساها بسهولة ، يا أماه .

الـــزا : لماذا ، تبا لك . سوف أعمل على أن ينسى هذا الحانوت . فسوف يتاح لى من الوقت ما يجعلنى أهتم بك وأرعاك . ألن أفعل هذا يا مستر جانت ؟

جانت : انت على صواب فى شىء واحد ، يا مس الزا ، لا أستطيع المجادلة فيه ، وهو أنك قد كدحت كثيرا .

(ينهض ، ثم يتجه الى منتصف المكان حيث منضدة العمل) .

يوجين : أرجوك يا أبى ألا تفعل .

(جانت يجلس الى النضد ، ثم يوقع الوثيقة . الزا تعبر اليه ، ثم تلتقطها) .

الزا : شكرا ، يا مستر جانت . وهاك الشيك . أتعرف ما سأفعله ؟ سأقيم حفلا كبيرا فخما .

(تعطى الوثيقة الى ويل ، ثم تتحدث الى يوجين) .

سوف نطلب الى شقيقك لوك أن يأتى الى البيت ، اذا ما أذنت له البحرية بالخروج . وسوف ندعو ستيفى وديزى وزوجها أيضا ، مالم تحضر معها أطفالها الذين يملأون الدنيا ضجيجا .

(تلاحظ جانت عند تطلعه الى الشيك) .

أقلبه — يا مستر جانت . وقع على ظهره .

جانت : ولم يجب على أن أوقعه ؟

الزا : حوله بالتوقيع على ظهره ، هذا هو كل ما فى الأمر . كما هو مدون على وجهه ، يا مستر جانت .

جانت : يمكن أن نؤجل التوقيع حتى أستطيع أن أقدمه الى البنك . ألا يمكن ذلك ؟

الزا : لكى تصرف الشيك — يا مستر جانت !

جانت : لم أعتد على هذه الأشياء . كيف تصرفينه ؟

الزا : وقع عليه — وأنا أقوم بايداعه الى حساب نزل ديكسيلاند ، وبعد ذلك نقوم نحن بسحب الشيكات من هذا الرصيد .

جانت : نحن ؟

الـــــزا : نعم ، فلك أن تسحب ما تريد . وأسحب أنا ما نحتاج اليه لدفع مصروفات الكلية لچين — وما يتطلبه نزل ديكسيلاند ، وما عسى أن نحتاج اليه .

جانت :

(ينهض ، ثم يتجه الى غرفة المكتب) .

أكبر الظن أننى سوف أنتظر لأقبض قيمته حين أسافر الى « تشابل هل » فان للمصرف فرعا آخر هناك . أليس كذلك ياويل ؟

(يعطى ويل قلمه) .

الـــــزا : لماذا تريد أن تقبض قيمته فى مدينة « تشابل هل » ؟

جانت : ان الشيك يخصنى ، أليس كذلك ؟ فأنا الذى كانت لديه البصيرة النافذة كى أشترى رقعة الأرض الصغيرة المنزوية هذه منذ واحد وثلاثين عاما مضت بأربعمائة دولار . . . وهو المبلغ الذى حصلت عليه من عقار كانت تملكه سينثيا ل . جانت عند وفاتها . وأحسب أننى أستحق ما يعود على من ربح .

الـــــزا : والآن ، يا مستر جانت ، اذا كنت تعتقـــد أنك تثير ثائرتى . . .

جانت :

(يلتقط قبعته ، ثم يرتديها) .

كنت أتوق ، يا مس الزا ، الى البعد عن هذا المكان منذ أمد طويل . سأصحب چين معى .

(يعبر الى يوچين) .

سألحقه بتلك الكلية فى « تشابل هل » .

يوچين : الآن ؟

جانت : الآن ! وبعد ذلك سأسافر ... وعندما يحصل چين على أجازته فى الصيف ، سوف نسافر معا .

(يعبر المكان راجعا الى الزا) .

وما من قوة على ظهر هذه الأرض تستطيع أن تمنعنى. هأنذا أرى شفتيك اللعينتين تكادان تنطقان بكلمة « ديكسيلاند » لتقولى : وماذا عن ديكسيلاند ؟ أما من شيء تودعه من أجل ديكسيلاند ؟ كلا ، ما من سنتيم أحمر واحد لعين ! فما أكثر ما تملكين مما يمكن بيعه . فاذا كنت تنشدين الاطمئنان والراحة حقا ، فلتبيعيه ، أيتها المرأة ، بيعيه ! ولكن أكبر الظن أنك لا ترومين الا النصب والتعب ، مما يجعلنا نشفق عليك ، ونأسى من أجلك .

(يضع الشيك فى جيبه) .

حسنا ، يا يوچين ؟

يوچين : لا أستطيع الذهاب الآن ، يا أبى ؟

جانت : ولم لا ؟ اذا لم تكن لديك ملابس أفضل من هذه ... فلا بأس من أن تذهب بما أنت عليه . أحسب أننا سنلقى تحية الوداع .

(يخاطب الملاك) .

الى اللقاء ، يا ملاكى كارارا العزيز . سوف ندبر أمورنا كى يجتمع شملنا مرة أخرى يوما ما . (يصافح بن) . الى اللقاء ، يا بن ــ أخبر هيلين ــ أخبرها أننى سوف أكتب اليها .

الزا : (واثبة الى جانت) .

لن أدعك تفعل هذا . لن أدعك .

يوچين : أماه !

الـــزا : (تنتزع الشيك من جيب جانت ، ثم تمزقه ، وتقذف به الى الأرض) .

حسنا ، حسنا ، حسنا ! هذا هو شيكك . أظن أنه لن يمنعك شيء عن ذهابك الى المصرف لتحاول الحصول على شيك آخر ، ولكنك لن تفلح فى هذا ، لأننى سوف أقوم بالحجر عليك . وسوف أثبت أنك لا تملك أى حق فى بيع هذا العقار ، أو حتى ملكيته . سأقيم الوصاية عليك ! فالكل يعلم ما كنت تعالج منه ذات يوم — وما كنت تهددنى به ... والمرات العديدة التى حاولت فيها قتلى . أنت رجل مجنون ، يا مستر جانت ، مخبول . لن تستطيع أن تفلت بهذا ، سأقاومك بكل قواى . وسأنتصر عليك .

(ترتجف وهى تلتقط حقيبة يدها من فوق المقعد الحجرى) .

جانت : ان كل ما ذكرته عنى لهو صحيح ، يا الزا . فلم أجلب عليك سوى الألم والشقاء . فلم لا تتركينى أعزب عنك؟

الـــزا : لأنك زوجى ، يا مستر جانت ! أنت زوجى . لقد قضينا معا واحدا وثلاثين عاما ، وسوف نواصل الحياة معا — علينا أن نواصلها معا . فان بيتا منقسما على نفسه لا يمكن أن تقوم له قائمة . علينا أن نحاول أن يفهم بعضنا بعضا ، وأن يحب بعضنا بعضا . علينا أن نحاول .

(الزا تخرج) .

جانت : (فى هدوء) .

أرجوك ، ياويل ، أن تصحبها الى المنزل ؟

(يهرول ويل وراء الزا . تمر فترة . يجفف بن جبهته بمنديل ، وقد انهارت قوته من وطأة الحمى عليه . جانت يغوص فى أحد المقاعد) .

جانت : اذهب ، يا يوچين ، الى حانة لوجران وأتنى بزجاجة من الخمر . أسمعت ؟

يوجين : كلا ، يا أبى .

جانت : أما زلت تحبو وراء أمك ؟

بن : لا شأن لك بچين . فاذا أردت أن تمرض نفسك ، فلتفعل هذا أنت .

جانت : أيها الأبناء الجاحدون ! أوه ، يا للسنين الحزينة التى ضاعت هباء . يا للجروح الدامية التى خلفتها أخطاؤنا !

(جانت ينهض ، ثم يخرج . يوچين يتابع اباه بنظرة) .

بن : هذا المارد المحطم . لولا محاولته لاصطحابك معه ، لكان قد أفلح . وما زال فى مقدوره أن ينجح ، ولكنه لن يحاول ثانية .

يوچين : ترى ماذا حدث لهما ؟ لقد كانا متحابين ذات يوم . ولابد أنه قد مرت عليهما لحظات اكتملت فيها سعادتهما . ان هذا ما يخيفنى ، يا بن . اذ كيف يمكن لهذه السعادة الكاملة أن تستحيل الى هذا العذاب الأليم ؟

بن : انهما غريبان ! لا يعرف أحدهما صاحبه . وليس هناك من يستطيع أن يعرف غيره معرفة وثيقة .

يوچين : ان ما تقوله غير صحيح . فهأنذا أعرفك ــ وأعرف لورا .

بن : استمع الى ما يقول ! فقد نظل غرباء رغم هذه الروابط التى تربطنا من أذرع متعانقة ، وقلوب دافئة ، وشفاه تتبادل القبل ... هذه حقيقة لا نستطيع الهروب منها أبدا ، أبدا ، أبدا ...

(يغمض عينيه ، ويستلقى الى الوراء) .

يوچين : بن ، عجبا ، بن ؟

(يتجه الى بن فى قلق ، ثم يتحسس وجهه) .

بن ، انك تتلظى من الحرارة ! هيا بنا ...

(يحاول أن يرفعه) .

طوقنى بذراعيك . سأعود بك الى البيت .

بن :

(يتراخى الى الوراء) .

لا أستطيع . انى على ما يرام ، غير أننى متعب .

يوچين : لم لم تخبر أحدا أنك مريض ، أيها الأبله المجنون !

(يحاول يوچين ثانية أن يرفع بن) .

بن : لتذهب معهم ، يا چين . لتذهب معهم الى الجحيم . ولا تثر على شيء . فانها الحياة ، فيها الأيام الكثيرة الحلوة ، وفيها الأيام الكثيرة المرة .

(يندفع يوچين الى غرفة المكتب ، ويلتقط سماعة التلفيون) .

هذا كل ما هنا لك ... الكثير من الأيام ... رباه ، أليست هناك حرية فى هذه الدنيا ؟

يوچين :

(متحدثا فى التليفون) .

استدع الدكتور ماجوير بسرعة . انه أخى بن !

بن :

(يتحرك ، فى هلع ، ويتطلع الى ملاك كارارا قائلا).

وما زلت تبتسمين ...

ســـــتار

الفصل الثانى

المشهد الثانى

فى الليلة التالية ، والمنزل يمر بفترة عصبية

لورا ويوچين يجلسان على المقعد الذى يوجد فى فناء المنزل . بيرت تجلس فى مقعدها الهزازبالقرب من الباب الأمامى لا تبدى حراكا . يشاهد هيو وهو يسير هنا وهناك فى خطى وئيدة . تضاء القاعة الداخلية ، وكذلك غرفة بن التى نراها لأول مرة . وهناك يحوم الدكتور ماجوير وهيلين حول بن وهو ساكن لا يتحرك . جانت يتحدث فى التليفون فى القاعة .

جانت :

(صائحا فى التليفون) .

لوك جانت . ج ـ ا ـ ن ـ ت ! هو بحار من الدرجة الثانية .

(غاضبا) .

أنا لا أفهم لماذا لا تسمع ؟

هيو :

(عابرا تجاه الباب) .

جانت ، ان المكالمة الخارجية لا تستدعى رفع الصوت هكذا .

جانت : صه ، يا هيو ، أنا أعرف ما أفعل .

(متحدثا فى التليفون) .

ماذا ؟ حسنا ! سأقف بعيدا عن التليفون . . .

(يبعد التليفون عنه ، ويخفض صوته) .

أتسمعنى الآن ؟ وبرغم كل هذا ، سأعيد عليك ما قلت. لقد أرسلت أمس برقية الى ولدى ، لوك جانت ، كى يعود الى البيت ، لأن أخاه قد أصيب بالتهاب رئوى. هل تستطيع أن تخبرنى عما اذا كان ــ أوه ، غادركم ؟ لم لم يعرفنا بذلك ؟ حسنا ! أشكرك ، أشكرك كثيرا .

(يضع السماعة ، ويلحق بالآخرين فى الشرفة) .

هيــــو : أسمحوا له بأجازة .

جانت : اذا تيسرت له سبل المواصلات ، فلابد أنه على وشك القدوم الآن .

هيــــو : وسوف يكون بن على خير ما يرام ، يا جانت .

جانت : انى لأذكر عندما كان جروفر الصغير مريضا فى مدينة سان لوى ، أن أرسلت الزا فى طلبى ، ولكننى لم أصل الى هناك فى الوقت المناسب .

(يجلس فى الفناء على مقعد بلا مسند . الزا تدخل من المنزل) .

الـــــزا : هل اتصلت به ؟

جانت : انه فى طريقه الينا .

الـــــزا : طبعا ، ان الأمر كله لغو فارغ . ما أبعد الموت عن بن . ولكنك تحب ، يا مستر جانت ، أن تجعل من الأمر مأساة . وعلى كل ، فسنسعد برؤية لوك ، . . .

يوچــين : (متجها الى الزا)

أماه ، متى أستطيع أن أرى بن ؟

الـــزا : عندما يسمح الطبيب . أسمع ، عندما تدخل عليه ، لا تشعره بأنه مريض . حسبك أن تجعل من هـــذا نكتة كبرى تضحك عليها ملء شدقيك .

يوجـين :

(متأوها) .

أمـــاه !

الـــزا : حسنا ، المهم فى الأمر هو أن يحتفظ المريض بصـفاء عقله . أذكر أننى عندما كنت أعمل بالتدريس فى مدينة « هومنى » أن أصابنى التهاب رئوى . ولم يتوقع أحد لى أن أعيش ، ولكن هأنذا على قيد الحياة ... فلقد اجتزت هذا المرض على نحو ما . وأذكر أننى كنت جالسة ذات يوم ـ أظن أننى كنت فى دور النقاهة ، كما يقولون . وكان الدكتور فلتشر موجودا ـ وعندما غادر البيت رأيته يهز رأسه الى ابنـة عمى سالى . وما كاد يغادر البيت ، حتى قالت لى : « لماذا ، يا الزا ، بحق السماء ، انه يقول انك تبصقين دما كلما تسعلين ، يقينا انك ستعيشين بذات السل ! » فقلت : « تبا لك ! » وأذكر أننى قد صممت على أن أسخر من هذا . فقلت لها : « اننى لا أصدق كلمة واحدة من ذلك » . وهكذا ابللت من المرض لأننى لم أصدق كلمة واحدة مما قيل .

جانت :

(فى هدوء) .

الزا ، لا تهرفى هكذا .

هيلـين :

(تظهر فى الشرفة)

يقول الطبيب انك تستطيعين أن تدخلى يا أماه اليه لبضع دقائق ، ولم يسمح لأحد سواك بعد .

يوچين : كيف حاله ؟

هيلين : انت تعرف الدكتور ماجوير ، فليس فى مقدور أحد أن يعرف منه أى شيء ...

(الزا تزفر بشدة ، تدخل هى وهيلين الى المنزل).

جانت : أوه ، يا الهى . أنا لا أحب هذا الشعور . لا أحب هذا اللون من الاحساس .

بن : (واهنا) .

ماجوير ، اذا لم تكف عن التحويم فوق رأسى هكذا ، فاننى سأختنق موتا .

(مخاطبا الزا وهيلين عند دخولهما) .

أنتما معا هنا تستنزفان ما بالغرفة من هواء نقى ، فلتتركا هذا الباب مفتوحا .

(الزا تتقدم فى بطء نحو بن ، تشهق عند رؤية ذلك الجسم العذب المتهالك . بن مغمض العينين) .

هيلين : أمى هنا ، يابن .

الزا :

(تتحدث اليه كأنما تخاطب طفلا) .

أهلا ، أهلا بك ، يا بنى ــ أكنت تظن أننى لن أدخل لأراك ؟

هيلين :

(بعد فترة صمت) .

بن ، ها هى ذى أمى .

الزا :

(مخاطبة ماجوير) .

ألا يستطيع أن يتحدث ؟ لم لا ينظر الى ؟

بن : بن ، ألا تستطيع أن تستمع الى ما يدور من حولك ؟

(فى هدوء ، وما زالت عيناه مغمضتين) .

أود لو خرجتم جميعا وتركتمونى وحدى .

الــــزا : ما هذا الذى تقول ؟ لابد من أحد يعتنى بك ، يابنى !

بن : اذن فاتركوا مسز بيرت تعتنى بى .

هيلــين : بن !

بن : ماجوير ، أين هى (البدينة) ؟ أريد أن أراها .

هيلــين : بن ، كيف تتحدث هكذا ؟ أمك وشقيقتك ؟ لو لم تكن هذه المرأة ، لما كنت مريضا الآن . الشرب والتسكع معها ليلة بعد أخرى .

بن :

(يصرخ فى قوة خائرة) .

أيتها (البدينة) أيتها (البدينة) !

(تقف مسز بيرت فى الشرفة على الفور ، ثم تدخل المنزل) .

هيلــين :

(مخاطبة ماجوير فى غضب) .

أيها الشرير ! ألك أن تزيد ما هى عليه من شــــقاء ؟ اذا ما أعوزك شىء فاسألنى .

(الزا تخرج من حجرة بن ، وتقابل فى طريقهامسز بيرت فى مدخل الباب . مسز بيرت تتردد) .

حسنا ، يا مسز بيرت .

بن :

(يستدير اليها فورا) .

أيتها (البدينة)

يبدو أن بن يريدك الى جانبه ، وهذا ما يهمنى .

(مخاطبا هيلين) .

سأدعوك اذا ما احتاج الأمر اليك .

هيلين : انها المرة الأخيرة التى تأتى فيها الى هـذا البيت ، يا دكتور ماجوير !

(هيلين تغادر الغرفة . تقف الزا خارج غرفة بن وتناول هيلين بعض الضمادات الباردة . تعود هيلين مرة أخرى الى غرفة بن ، ثم تضعها فوق النضد).

بن : أمكثى بجانبى (أيتها البدينة) . انشـدى لى أغنية « صلاة طفل عند الشفق » ...

(جالسة بجواره) .

صه ، يا بن لتهدأ يا عزيزى . لا تجهد نفسك .

بن : امسكى يدى (أيتها البدينة) .

(تأخذ يده ، ثم تغنى) .

« عندما تخفت الأضواء
ترتفع عند الشفق ابتهالة طفل
امتلأت حياته
بالأسى والدموع » .

(تهمهم) .

(ينهض يوچين واقفا عند سماع الغناء ، ويرفعبصره نحو غرفة بن . هيلين والزا تظهران فى الشرفة ، وقد أخذت هيلين تواسى أمها) .

يوچين : كيف يبدو ، يا أمى ؟

الـــــزا : لم يحتمل أن يرانى قلقة . هذا كل ما فى الأمر ، وأنت تعرف ذلك . لم يحتمل أن يرانى قلقة عليه .

جانت :

(متأوها) .

أوه ، يا يسوع ، انه لشىء رهيب ـ أن يتراكم كل هذا على كاهلى ، وأنا مريض فى شيخوختى .

هيلـين :

(وقد استشاط غضبها) .

فلتسد فاك فورا ، أيها الكهل اللعين . لقد أنفقت حياتى فى رعايتك . فما من شىء الا وقمنا به نحوك ـ كل شىء ـ ولسوف تبقى هنا بعد أن نكون قد ذهبنا جميعا . . . فلا تدعنا ـ أيها الكهل الأنانى ـ نسمع شيئا عن مرضك ـ فان هذا يثير غضبى !

الدكتور ما جوير :

(متحدثا عند ظهوره فى الشرفة) .

اذا كان الأمر يهمكم ، فان بن قد تحسن قليلا .

يوجـين : شكرا لله !

هيلـين : اتحسن بن ؟ لم لم تقل هذا من قبل ؟

الـــــزا : أما قلت لكم ! أما قلت لكم ؟ لقد كان هـذا احساسى دائما !

الدكتور ما جوير :

(هابطا الدرج) .

سأعود بعد برهة وجيزة .

جانت : حسنا ! نستطيع جميعا أن نهدأ الآن .

الدكتور ما جوير :

(يأخذ يوچين بعيدا عن الآخرين) .

يوچين . لقـد سرى المرض فى كلتا رئتيه . وما أنا بمستطيع أن أخبرهم ذلك ، ولكن عليك ألا تدع أحـدا بالدخول اليه . سأذهب الى المنزل المجاور كى أتحدث فى التليفون أطلب جهاز التنفس الصناعى ، فقد يخفف عليه ذلك قليلا . ولن يستغرق هذا وقتا طويلا .

(يلمس يوچين فى محبة وتشجيع ، ثم يخرج) .

جانت : وماذا عن لوك ؟ سوف يستشيط لوك غضـبا عندما يكتشف أنه قطع كل هذه المسافة بلا مبرر !

الـــزا : بلا مبرر ؟ أتقول ان تحسن بن هذا « بلا مبرر » ؟

جانت : أوه ، أنت تعرفين ما أعنى ، يا مس الزا . سأذهب لآخذ قسطا من النعاس ..

الـــزا : أنت تعنى أنك ستذهب لتأخذ قسطا من الشراب .

جانت : لك أن تصعدى الى غرفتى وتشاهدى اذا لم تصدقينى.

(يخرج الى المنزل . يوچين يقف ، وقد بدا يائسا كمن طاش صوابه . وهو يحاول التحكم فى نفســه بصعوبة خلال المشهد . چاك وفلورى يدخلان من الشرفة الخلفية) .

الـــزا :

(فى اضطراب) .

أبلغكم يا مستر كلات ، وأنت يا مس مانجل ؟ لقد أخذ بن فى التحسن . لقد اجتاز الأزمة !

چـــاك : اننا سعداء من أجلك ، يا مسز جانت .

الـــزا : كان هذا احساسى دائما طوال مرضه ، كأن شيئا الهمنى بذلك . أوه ، لست أعنى أنه لم يكن محموما للغاية ــ فأنا أعترف بذلك ، ولكن كان شعورا داخليا . . .

لـــوك : (من بعيد) .

مرحبا ... بمن هنا !

الـــــزا : (تحدق فيه من بعيد) .

لـــوك !

(تندفع هابطة الدرج) .

لوك ! لوك جانت !

(يتوارى النزلاء عندما يدخل لوك جانت ، مرتديا زى البحرية ، وهو يحمـل حقيبة من القمـاش السميك الخشن . وهو شاب جـذاب ، نحيل الجسم متألق الوجه ، يتصف بميله الشديد الى المزاح وحبه للحياة ، مما يجعله محببا الى الناس جميعا . وهو الابن الذى هجر أهله فى سن مبكرة ، ولكنه ما زال يحمل سمات تنم عن طفولة كئيبة ، ويظهر ذلك فى تلعثمه أحيانا) .

لـــوك : أماه ، أماه !

(يدور بها متأرجحا) .

هيـــو : حسنا ، البحار بعينه ، والا فمن يكون ؟ كيف حالك ؟

لـــوك : (مصافحا هيو) .

انى لعلى ما يرام ، يا هيو ! كيف حالك ؟

الـــــزا : الا من قبلة لأمك العجوز ؟

لـــوك : العجوز ؟ انك تبدين الآن أصغر سنا وأقوى بنية .

(يقبلها) .

الـــــزا : انى كذلك ، انى كذلك ــ يابنى . فاننى أشعر بهذا ــ وقد أخذت صحة بن تتحسن الآن .

لـــوك : أتحسنت صحة فتانا الكبير ؟

هيلـــين : لوك !

لـــوك : هيلين !

(واثبة بين ذراعيه) .

كيف حال فتاى ؟

لـــوك : ع ـ ع ـ على أحسن ما يكون الحال . رأيت أنه قـد يعوزكم ما يثلج صدوركم ، فأحضرت لكم بعض المثلجات من مقهى « وودرف » .

(يعطى هيلين علبة من الورق المقوى بها المثلجات).

هيلـين : انه شيء طبيعى ، فـلو لم تحضر المثلجـات لما كنت لوك جانت !

يوچـين : (عابرا اليها) .

عود حميد ، يا لوك !

لـــوك : (يتصافحان) .

رباه ، أليس من يشترى لك ملابس ـ وهذا الشعر ! أماه ، انه يبدو كما لو كان يتيما فقد أبويه .
اقطعوا ساقيه اللعينتين ، لئلا يطول عاليا فى اجواز الفضـــاء !

يوچـين : كم من الوقت سمحوا لك يا لوك ؟

هل لكم فى ت ـ ت ـ تحملى مدة أربع وعشرين ساعة ؟
(يبصر لورا) .
ومن هــذه ؟

الــــزا : انها مس چيمس من ڤرچينيا . هذا ، يا لورا ، لوك جانت أحد أولادى .

لـــورا : (تصافحه) .

كيف حالك ـ يا مستر جانت ؟

لـــوك : كيف حالك ؟

الـــزا : (تجذب لوك بعيدا) .

حسنا ، حسبك أن تأتى الى هنا ، ولتكن مهذبا .

هيلـين : من الأفضل أن نضع المثلجـات فى صحاف قبـل أن تذوب .

(تخرج الى المنزل) .

لـــوك : (مناديا هيلين) .

قد يرغب بن فى تناول قليل منها . لقد أحضرت الفستق من أجله خاصة .

الـــزا : انبئى أباك أن قائد الأسطول قد حضر !

لـــوك : هل أستطيع أن أرى بن الآن ؟

الـــزا : حسنا ، فى الحقيقة ، ان مسز بيرت معه الآن فى غرفته .

لـــوك : مسز بيرت من ؟

(يجيل ببصره فى الآخرين) .

هيـــو : لا أود أن أخوض فى هذا الأمر . فهو موضوع شائك بعض الشى .

لـــوك : يا ولد ، يا ولد . فأنا أعرف هذه الأشياء . أما زالت الأمور تسير كما كانت فى هذا البيت السعيد ؟

(لوك والزا تجلسان على حافة الشرفة) .

الـــزا : هراء . فلست أكن ضغينة لهذه المرأة سوى أنه تراودها خواطر كثيرة ، فهى تعتقد أنها قد ثبتت قدميها هنا . ان أول ما سأقوم به فى الصباح هو أن أطلب اليها أن تغادر هذا البيت .

لـــوك : ألا تدفع أجر غرفتها ؟

السـزا : أوه ، انها تدفعه .

لـوك : (ضاحكا) .
اذن ، فلن تطلبي اليها أبدا أن تغادر النزل ــ فلا تهزئي بي ! ان أهم شيء هنا هم العملاء الذين يدفعون أجر مسكنهم ! أليس كذلك يا أماه ؟

السـزا : ان ثمة مستويات من العملاء ، يا لوك جانت ، لا مناص لي من الاحتفاظ بها من أجل سمعة ديكسيلاند !

لـوك : (مستطردا في قسوته) .
أي ضرب من المستويات تعنين ؟ أتقصدين بالمستويات هذا الكهل الخبيث الحثالة الذي خنق نفسه شنقا في هذه الغرفة ذاتها ، والتي كان على بن أن ينام فيها ثمانية أعوام بعد أن أنزله من حبل المشنقة ؟ أم تقصدين تلك البغايا المنحوسات اللاتي ينضوين تحت حمايتك في هذا البيت ، ويتربصن بنا في الردهة ، وفي الحمام ــ أماه ، ما نعمنا قط بأية لحظة أ ــ أ ــ أمنة ! في الوقت الذي يظن فيه الناس أننا وجدنا المخرج في حياة البحرية !

السـزا : (في لهجة تنم عن المزاح) .
أنا أحذرك ، يا لوك ! فلا بأس مما تقول اذا كنت تريد اغاظتي فحسب .

(هيلين تدخل حاملة الصحاف ، ثم تضع فيها المثلجات) .

لـوك : أتذكري عندما اعتدت أنا وبن وچين أن نسير معا في الصباح الباكر ونحن نحمل الصحف ، أتذكر هذا ، يا چين ؟ وكان بن يخترع لنا قصصا حول النائمين في جميع المنازل الساكنة ! وكان قد اعتاد دائما أن يلقي بالصحف بكل ما وسعه من هدوء لأنه كان لا يحب أن يوقظهم من نومهم . أتذكر هذا ، يا چين ؟

هيلـين : وأتذكر ذلك الكتاب الذى كان يضم قصصا عن لعبة (البيسبول) والذى اعتاد بن قراءته لنا — ترى ماذا كان اسمه ، يا چين ؟

يوچين : (وقد سالت دموعه) .

كان اسمه « أنت تعرفنى ، يا آل » لمؤلفه «رنج لاردنر».

الـزا : (واثبة نحو يوچين) .

يوچين ، ماذا دهاك يا صغيرى ؟ ماذا دهاك !

(مسز بيرت تدخل مهرولة) .

مسز بيرت : مسز جانت ! مسز جانت !

هيلـين : ماذا ، يا مسز بيرت ؟

مسز بيرت : انه لا يستطيع التنفس !

هيـو : استدع الطبيب ، يا چين !

(هيلين والزا تتبعان مسز بيرت الى داخل المنزل).

الـزا : أيتها المرأة السمجة ! لقد قال الطبيب انه قد تحسن .

(يوچين يخرج ليستدعى ماجوير . جانت يدخل من الباب الجانبى) .

جانت : يا للجحيم ، فيم كل هذا الهرج والمرج ؟

(يبصر لوك) .

لوك ! مرحبا بك !

لـوك : (وهما يتصافحان) .

أبى — ان صحة بن لا تتحسن بدرجة مرضية .

جانت : يا يسوع ، رحمتك ! أيحدث هذا وأنا فى شيخوختى . أواحد آخر — جروفر من قبل ، ثم بن الآن ...

لـــوك : أستحلفك بالله يا أبى ، اجتهد أن تسلك مسلكا هادئا ، من أجل بن !

(يوچين والدكتور ماجوير يدخلان مهرولين) .

جانت : (وهو يمسك بالطبيب بشدة) .

ماجوير ، عليك انقاذه ــ عليك انقاذه .

(ماجوير يدفع جانت مسرعا الى داخل البيت ، ويدخل غرفة بن حيث تجمعت النسوة الثلاث . وقد وقفت مسز بيرت فى أقرب مكان الى بن عند رأس السرير) .

فلتتراجعن الى الوراء ، أيتها النسوة ، وامنحنه قليلا من الهواء .

(ينحنى فوق بن) .

جانت : لا يهتم أحـــد بهرم يموت . ولكن الشـــباب ... الشباب ...

يوچـين : (يجلس بجواره) .

ولكننى أهتم ، يا والدى .

بن : هذا هو السبيل الوحيد ... للخروج ... من هــذا الكمين ... أليس كذلك ... (أيتها البدينة) ؟

(البدينة) :

صه ، يا بن ، لا تقل هذا !

هيلـين : (مخاطبة الطبيب) .

لابد من شىء تستطيع أن تفعله !

ماجوير : (وقد اعتدل فى قامته) .

ما من طبيب فى العالم يستطيع أن يفعل شيئا الآن ، ولو هبطت ملائكة السماء !

هيلين : هل جربت كل شيء ؟ كل شيء ؟
يا فتاتي العزيزة ! انه يحتضر ! يحتضر !

الـزا : (في ألم عميق) .
أنت تقفين في مكاني ، يا مسز بيرت . . .

(مسز بيرت تبتعد ، الزا تخطو بالقرب من بن ، ثم تجلس) .

لـﭭورا : بن ــ ولدى .

(تمد يدها لتلمسه . يدور براسه نحوها ثم تتهاوى . يسمع صوت أنفاسه الأخيرة ثم حشرجة . ماجوير يفحص قلبه) .

ماجوير : انتهى . لقد انتهى .

(هيلين تخرج صوب الشرفة وهى تسرع فى سيرها . مسز بيرت تضع الجوارب التى كانت قد صنعتها من أشغال الأبرة عند قدمى بن ثم تخرج لتصعد الى الطابق الأعلى . هيلين تدخل الى الشرفة ، وتحاول أن تكتم نحيبها) .

هيلين : لقد مات ــ مات بن .

(هيلين تتهاوى بين ذراعى يوچين . يظهر الدكتور ماجوير حاملا حقيبته ، يشعل سيجارا يلوكه بين شفتيه) .

يوچين : (متجها نحو الطبيب) .
ألم يقل شيئا ؟ ألم يقل شيئا فى لحظته الأخيرة ؟

ماجوير : وماذا كنت تتوقع أن يقول ؟

يوچين : لست أدرى . كنت أتساءل فحسب .

ماجوير : لو أنه وجد ما كان يبحث عنه ؟ انى لأشك فى ذلك ، يا چين ، على أية حال انه لم يفه بشيء .

(يوچين يتركه ويدلف الى غرفة بن . ماجوير يخرج الى الشرفة) .

لــوك : منذ متى وأنت تعلم بهذا ، يا دكتور ؟

ماجوير : منذ يومين ـ منذ البداية . منذ أن وقع بصرى عليه فى مطعم « أويندا لانش » يمسك بقدح من القهوة فى يد وسيجارة فى اليد الأخرى .

جانت : ألم يكن هناك ما يمكن أن تفعله ؟

ماجوير : ليس فى وسعنا ، يا عزيزى جانت ، أن نسترجع الأيام التى انقضت من أعمارنا . وليس فى مقدورنا أن نستعيد تلك السويعات التى صحت فيها صدورنا ، والتى تدفق فيها الدم حارا فى عروقنا ، أو تلك التى استقامت فيها أجسامنا شابة فتية . فما نحن الا ومضة من ضوء ـ عقل يفكر ، وقلب ينبض وروح ترفرف ـ نحن لانساوى شروى نقير .

(يهز راسه) .

نستطيع أن نؤمن بأن الحياة لاشىء ، ونستطيع أن نؤمن بأن الموت لاشىء ، بل وبأن الحياة بعد الموت كذلك . ولكن من يستطيع أن يعتقد أن بن لا شىء ؟

هيلــين : هيا ، يا أبى ، فلم يعد ثمة ما تجلس من أجله . دعنى أودعك فى فراشك . هيا بنا .

(تأخذ الرجل الكهل وتقوده فى رقة الى داخل البيت، بينما يخرج الطبيب . هيو ولوك يخرجان وراء هيلين وجانت . ولا تترك سوى لورا ، فتظل جالسة على المقعد الموجود بالفناء . يتجه يوچين ، وكان واقفا فى احد أركان غرفة بن ، الى أمه ، وهى ما زالت ممسكة بيد بن بشدة) .

يوچــين : أماه !

الــــزا : انه لم يعد يدير وجهه عنى بعد الآن .

لـــوك

(يتناول يدها ، ويحاول أن يخلص يدها من يد بن
في رقة) .

أماه ، عليك أن تتركى يده . عليك أن تتركى يده .
يا أماه .

(الزا تهز راسها ، وقد قبضت بشدة وخشونة على
يده . يوچين يغادر الغرفة ، ثم يخرج الى الشرفة
حيث يخر على ركبتيه ، ويصلى . لورا تراقبه ،
وقد انصرفت بقلبها اليه) .

يوچـــين ربـاه ، أيها الأبدى السرمدى ... لتحل رحمتك على
بن هذه الساعة ... رباه ، أيها الأبدى السرمدى ...
لتحل رحمتك على بن هذه الســـاعة ... رباه ، أيها
الأبدى السرمدى ... لتحل رحمتك على بن هـــذه
الساعة .

(ينسدل الســـتار ببطء) .

الفصل الثالث

(نزل ديكسيلاند)

بعد انقضاء أسبوعين .

يرى المنزل وقد خيم عليه ضوء الفجر الخافت. ومن خارج المسرح ، يلقى الصبى بائع الصحف ، وهو يصفر ، بأربع جرائد محكمة اللف فى الشرفة واحدة بعد الأخرى ، فيحدث سقوطها صوتا مسموعا طق — طق — طق . ثم يتضاءل صفيره ووقع قدميه . تضاء غرفة لورا اضاءة خافتة حيث تشاهد فى فراشها مرتدية ثياب النوم . يوچين يطل من النافذة القريبة من السرير . يتناول قميصه من فوق عمود السرير ، ويرتديه .

لـــورا : (تتحرك فى مضجعها) .
چين ؟ ما هذا ؟

يوچـــين : هذا « سوكس بيكر » قد ألقى بصحف الصباح . طق طق — طق — طق . كم كنت أحب سماع صوت الصحف وأنا ألقى بها واحدة بعد الأخرى . ففى كل مرة كنت أقذف فيها صحيفة كان حملى يخف عن ذى قبل . انى أشعر دائما بالشفقة نحو أولئك الذين تحتم عليهم أعمالهم أن يحملوا الأشياء الثقيلة .

(متنهدا) .

ها قد أخذت خيوط الضوء تلوح ، وأوشك الفجر أن يبزغ .

لـــورا : لا تذهب الآن .

(يتناول يدها) .

يوچـين : أتظنين انني أريد أن أغرب عنك فى آخر يوم لك هنا ؟ ان والدتى تستيقظ فى الصباح المبكر . أتعلمين انهـا تزور قبر بن كل صباح قبل أن تقوم بتجهيز طعـام الافطار .

(يجلس على السرير ، ويطوقها بذراعيه) .

لـــورا : چين ، چين .

يوچـين : أوه ، يالورا ، كم أحبك . فحينما أكون قريبا منك هكذا، فانها تكون استجابة طبيعية . أكل الرجال على شاكلتى؟ أخبرينى .

لـــورا : لقد أخبرتك أننى لم أعرف أحدا من قبل مثلك .

يوچـين : ولكنك قد عرفت رجالا ؟ والا لكان هذا غريبا ، وانت امرأة جميلة فاتنة . أنت تجعليننى فى احساسى هذا كما لو كنت حالما ، لقــد كان من الصعب على فى الأسابيع القليلة الماضية أن استسلم لأحـلام يقظة لا تضمنى واياك .

لـــورا : وماذا تعودت أن تحلم به ؟

يوچـين : كنت دائما أتوق الى أن أكون الفائز السابق المجلى الذى يحرز النصر ! ثم كنت أحلم بعد ذلك بأن أكون محبوبا . النصر والحب ! المحبوب الذى لا يقهر . وهأنذا قد تحقق حلمى . أتتزوجيننى يا لورا .

لـــورا : (مبتعدة) .
أوه ، يا حبيبى !

يوچـين : كنت تعرفين أننى سأطلب اليك هذا . أليس كذلك ؟ وأنت تعرفين أننى لا أستطيع أن أتركك تبتعدين عنى ولو يوما واحدا .

الـــزا : نعم ، كنت أعرف هذا .

يوچـين : أنت سعيدة معى ، وتعلمين أنى أسعدك ، وبهذا تكتمل سعادتى معك .

(يجذبها اليه ثانية بين ذراعيه) .

أتعلمين أن بن قد ترك لى ثلاثمائة دولار ؟ كان يود ان نفيد منها . سوف أصحبك اليوم الى ريتشموند ، كى أقابل والديك ، حتى لا يظنا أننى أحمق طائش سرق ابنتهما ، وان كان من الصعب اثبات ذلك ــ ولكن هناك عملا أستطيع الحصول عليه . أتبالين بالعيش فى مدينة آلتمونت ؟

لـــورا : لست أعبأ بالمكان الذى أعيش فيه . حسبى أن أكون معـــك .

يوچـين : سأتحدث الى والدتى حالا .

لـــورا : لا تدعنا نقلق حول هذ الآن ، حدثنا عن أنفسنا .

يوچـين : اجمع الكنوز التى ادخرها العالم من أجلنا ؟ لســوف نشاهدها ونعرفها جميعا ... سوف نعرف كلما قرأت عنه من أشياء وأماكن . فلن ندع ولاية فى هذا القطر الا وسنعرفها .. تلك الأسماء العظيمة ... أريزونا .. تكساس ... كولورادو ... كاليفورنيا ... ــ لسوف نمتطى اليها بساط الريح اذا لم يكن هناك مندوحة عن ذلك . سنرحل الى أوربا وما وراءها ... سنرى أرض شكسبير بمروجها الخضراء الرطبة ... بلاد الفـال بغاباتها المظلمة الموحشة ... سهول آشور الفسيحة حيث كان الاسكندر يرتع ويمرح ... أســـوار بابل المتهاوية المنهارة ... معابد فراعنة مصر .. جبـال سويسرة الشامخة تتوج هامتها الثلوج ... رباه ، قد لا يتسع لنا العمر لكى نشاهد كل هذا ، يا لورا !

لـــورا : ستكون لنا فسحة من العمر لكى نشاهد كل هـــذا ، يا حبيبى .

(يتبادلان قبلة تنم عن لهفة . يسمعان صفير قطار عند مروره على بعد) .

يوچـــين : لابد من حزم حقائبنا ، فان قطار ريتشموند يغادر المحطة عند الظهيرة .

لـــورا : انت مولع بالقطارات ، أليس كذلك ؟

يوچـــين : أنا لا أحب شيئا سواك . أسوف تثقين بى ؟ أنا المحبوب الذى لا يقهر ؟

لـــورا : نعم ، يا حبيبى . لسوف أودعك ثقتى .

يوچـــين : لن يكون هناك أبدا ما يدعو الى التسلل خارج هـــذه الغرفة ثانية .

(ينهض يوچين واقفا ، ثم يتجه صوب الباب . تمد لورا يديها نحوه ، وهى راكعة على ركبتيها) .

لـــورا :

يوچـــين !

(يعود اليها) .

سوف أحبك دائما .

(يتبادلان قبلة . يوچين يخرج . تثب لورا فى فراشها مهرولة خلفه .) .

لـــورا

چـــين !

(يشاهد الزا وكانت قد خرجت من الباب الجانبى . تأخذ بعض الزهور من دلو ثم تعدها لحملها الى قبر بن . يدخـــل يوچين من الدهليز ، ثم يرفع سماعة التليفون وهو يبصر الزا . تخفت الأضـــواء فى غرفة لورا عندما ترتدى ملابسها) .

يوچـين : (متحدثا فى التليفون) .

صباح الخير ٣ ــ ٢ من فضلك . (هالو) ، يا عمى ويل؟ أنا يوچين . نعم ، أعرف أنها ساعة مبكرة ... تذكر الوظيفة التى عرضتها على ؟ لقد قررت قبولها .

الـــزا : (تتحدث الى نفسها مسرورة) .

حسنا ، من كان يتصور !

يوچـين : (متحدثا فى التليفون) .

لقد فكرت مليا فى هذه الوظيفة ، فهذا نوع العمل الذى أحب أن أقوم به على الأقل لفترة من الوقت . هــذا صحيح ، رائع ... حسنا ، أسمعت أننى سأتزوج ...

(الزا تجمد فى مكانها من فرط الألم) .

نعم ، سأتزوج ــ مس چيمس. سنتوجه الى ريتشموند لأيام قلائل . سنأخذ قطار الظهيرة . شكرا ، يا عمى ويل ، أشكرك كثيرا .

(يوچين يضع سماعة التليفون ، ثم ينهض للعــودة الى الطابق الأعلى) .

الـــزا :

يوچـين !

يوچـين : (يخرج اليها على مهل) .

حسنا ، الآن ــ أحسب أن احساسك الداخلى قد أنبأك بهذا ، يا أماه .

الـــزا : لم لم أعرف ، لم لم أر ... جـــروفر أولا ، ثم بن ، وهأنتذا الآن ؟

يوچـين : يؤسفنى ، يا أمى ، أننا لا نستطيع الانتظار أكثر من هذا.

الـــزا : لا ترتكب هذه الغلطة ، يا صغيرى چين . فهى تكبرك كثيرا . لا تلق بنفسك فى الهاوية ، يابنى .

يوچين : لا فائدة من الجدال يا أمى . ومهما قلت فلن يغير ذلك من رأيى شيئا .

الـزا : (فى يأس) .

وماذا عن مشروعاتى لك ؟ ماذا عن مشروعاتى لك ؟

يوچين : لست أريد مشروعاتك ، يا أماه ، فانها حياتى وأريد أن أعيشها !

الـزا : بيد انك لا تعلم يا چين . أصغ الى ، أتعرف هذا العقار الذى أملكه فى مدينة ستمبتون ؟ لقد بعته بالأمس حتى تستطيع أن تلتحق بكلية « تشابل هل » ـ أنت تعلم أننى كنت أتوق دائما أن تنال حظا من التعليم . وتستطيع الآن أن تفعل ذلك ، يا بنى . تستطيع أن تحصل على قدر من التعليم .

يوچين : لقد ولت الفرصة ، يا أماه . لقد ولت الفرصة !

الـزا : ولماذا ، يا صغيرى ، ما من شىء قد ولت فرصته ! أنت تعلم أن هذا هو ما كان يبغيه بن من أجلك .

يوچين : سأرحل أنا ولورا ، يا أماه . سأصعد لأحزم حقائبى .

(يقبلها قبلة خاطفة ، ويخرج من المنزل) .

الـزا :

چين !

(تقف الزا تتبعه بنظرها لبرهة ، ثم تدخل مسرعة الى الردهة ، وترفع سماعة التليفون) .

٣ ـ ٢ من فضلك .

(هيلين تدخل من المطبخ حاملة المكنسة . ثم تكنس الشرفة) .

هيلين : فيم تطلبين مكالمة عمى ويل فى هذا الوقت المبكر ؟

السـزا : (متحدثة فى التليفون) .

ويل ، كلا ، كلا ، أعرف ـ لقد سمعت . . . نعم ، أعرف أنه وقت مبكر . . . اصغ الى يا ويل ، أريد أن تقوم بعمل من أجلى . أتعرف عقارى فى مدينة ستمبتون ؟ أريدك أن تبيعه . . . الآن ، هذا الصباح . لا تجادلنى ، ياويل ـ أنا لست أهتم بما يمكن أن يساوى من ثمن . استدع « كاش رانكن » ، لقد كان يلح على فى بيعه لعدة أسابيع . . . حسنا ، أنا أعرف ما أفعل ـ سأشرح لك الأمر فيما بعد ـ حسبك أن تفعل ما أقول ، ودعنى أعرف . .

(تضع سماعة التليفون) .

هيلـين : حسنا ، ان الصفقات التجارية لا تعترف بالوقت مهما كان مبكرا . ماذا تبيعين ؟

السـزا : عقارا أملكه .

هيلـين : ربما كان فى مقدورك أن تدفعى جزءا من هذا المال كى تستأجرى به خادما آخر يعاونك فى المطبخ ، محرابك المقـدس .

السـزا : هل لك ، يا هيلين ، أن تشرعى فى اعداد طعام الافطار ؟ سأتبعك فيما بعد . وعندما ينزل چين ، أبقـه هنا ، أتفعـلين ؟

هيلـين : أوه ، حسنا . ودعينى أعرف متى أستطيع أن أتركه يخـرج !

(تخرج الى المنزل . الزا تظهر عند باب غرفة لورا . لورا وقد ارتدت ملابسها تحزم حقيبتها . الزا تقرع الباب) .

لـورا : (عند دخول الزا) .

أوه ، يا مسز جانت . لقد كنت أتوقع حضورا .
ادخلي .

الزا : لابد أنك كنت تتوقعين حضوري .

لورا : قبل أن تقولي أي شيء ، يا مسز جانت ...

الزا : اني لأقسم ، انني لا أصدق أن امرأة كاملة النضج ، في وقت محنتنا كهذه ، تستغل طفلا ، مجرد طفل ...

لورا : استمعي الى ، من فضلك يا مسز جانت .

الزا : لن أصغ الى شيء . حسبك أن تحزمي أمتعتك وتغادري هذا المنزل . كان ينبغي لي أن أعرف حقيقة أمرك لحظة أن وقعت فيها عيناي عليك ... تقولين : « اني أبحث عن غرفة ، يا مسز جانت ... في وقت جف حلقك فيه ، وكنت فريسة البرد » .

لورا : (تتكلم في بطء ، وتضغط على مقاطع الكلمات) .
سوف لا أتزوج يوچين ، يا مسز جانت . سوف لا أتزوجه . وان كنت أتمنى من أعماق قلبي أن لو استطعت .

الزا : لست بمستطيعة أن تتمادي في أكاذيبك . فقد أخبرني چين بهذا لتوه .

لورا : اني مخطوبة لشاب في ريتشموند .

الزا : أي لعبة نكراء تلك التي تلعبينها على طفلي ؟

لورا : ليس من اليسير ، يا مسز جانت ، أن أصف لك قصتي ، التي كان ينبغي أن أصارح بها چين منذ وقت طويل .. ولكنني لم أفعل . انها قصة فتاة تجد نفسها بين عشية وضحاها على وشك الزواج ، لتجابه ما سيلقى عليها من تبعات ومسئوليات ، وما أحببت قط تحمل هذه

المسئوليات . ان چين يعرف كيف أنا . فأنا أعشق الموسيقى ، وأحب التجوال فى الغابات ، وأميل الى ... الخيال والأحلام . انى أعلم أننى أكبر من چين عمراً ، ولكننى أصغر منه فى نواح كثيرة . فاننى أفزع عندما تراودنى فكرة الزواج . ولقد أخبرت خطيبى أننى فى حاجة الى بعض الوقت كى أفكر فى هذا الأمر مليا . فاذا بى وقد همت بچين حبا . وجدت فيه لونا من الحب لم أعرفه من قبل ، ولكنى وجدت أيضا أن حبى لچين ليس هو الحب الذى أنشده . أن چين فتى رائع ، يا مسز جانت ، ينبغى أن يلتحق بالكلية التى يريدها . وعليه أن يجد لنفسه مجالاً ليشب فيه وينمو ، حتى يعرف نفسه . ولا ينبغى أن يبقى حبيسا مقيدا وهو فى هذه المرحلة من حياته . انه فى حاجة الى العالم بأسره ليضرب فيه متجولا . وأنا أدرك أننى فى حاجة الى بيت ، وأطفال ، وزوج فان هناك تقاليد لمن هن على شاكلتى ، تقاليد طيبة للزواج والسعادة ـ ويكفينى ما حطمت منها . لقد حدثت فيليب فى التليفون الليلة الماضية وهو قادم الى مقابلتى فى المحطة فى قطار الظهيرة . وسنسافر معا الى مدينة « تشارلستون » حيث نعقد قراننا . فهو يحبنى وسأحبه بعد فترة وجيزة .

(تأخذ ورقة من المكتب) .

لقد تركت هذه الرسالة ليوچين . اننى لا أستطيع أن أخبره مشافهة .

(تعطى الرسالة الى الزا) .

هل لك أن تبلغى مستر جانت تحية الوداع نيابة عنى ، وأن تبلغيه تمنياتى الطيبة ؟ وأن تبلغى تحيتى الى

مستر كلات والآخرين ؟ والى هيلين ، هى بخاصة لأنها تعمل بجهد كبير .

(تتطلع حولها) .

وداعا ، أيتها الغرفة الصغيرة . فقد كنت سعيدة هنا .

(تلتقط حقيبة ملابسها ، ثم تواجه الزا) .

لابد أنك ستدعينه يرحل يوما ما هو أيضاً . الى اللقاء ، يا مسز جانت .

(تخرج . وفى اثناء هذا الحديث يدخل هيو الى الشرفة ، ويجلس ليقرأ صحيفة . لورا تدخل من المنزل ، فتستدير الى الوراء متباطئة ، ثم تهرول خارجة الى المحطة عند سماعها صوت القطر يقترب . هيلين تدخل ، وهى تشرب قدحا من القهوة) .

هيلين : أماه ، ماذا حدث يا هيو ؟ هل رايت أمى ؟

هيو : عجبا .

هيلين : أتعلم أنها كانت على التليفون الآن تبيع بعض عقارها ! تصور — وفى هذه الساعة ! ثم تتركنى لأشقى فى المطبخ ... أتعلم أين هى الآن ؟

هيو : أنت تعرفين ، انهم لا يعلنون عن الوظائف الكبيرة فى هذه الصحف ، أعنى الوظائف الكبرى حقا .

جانت : (يدخل بملابسه الداخلية ، يحك ذقنه ، وقد غلبه النعاس) .

ألم يعدُ طعام الافطار بعد ؟

هيلين : أبى ، كم من مرة على والدتى أن تقول لك أن تنتظر حتى يفرغ النزلاء من تناول افطارهم ! وحذار أن تجرؤ فى الظهور أمامهم بملابسك الداخلية ، أسامع أنت ؟

جانت : رحماك ربى ! يا لها من طريقة أستقبل بها الصباح هذا اليـوم ؟

(يخرج) .

هيلـين : (منادية جانت) .

هل تعلم ، يا أبى ، أين ذهبت أمى ؟

(تخرج هيلين وراء جانت . يدخل يوچين الى الطابق الأسفل ، وهو يحمل حقيبة ملابسه ، ثم يقف عند باب لورا ، ويقرعه . الزا قد وضعت لتوها خطاب لورا على السرير) .

يوچـين : لورا ؟ لورا ؟

(يدخل يوچين فيرى الزا) .

أماه ! أين ذهبت لورا ؟ أين هى ؟

الـزا : لقد رحلت .

يوچين : رحلت ؟ أين ؟

الـزا : لقد هجرتك ـ تخلت عنك يا صغيرى . لقد هجرتك .

(تهز اصبعها اليه)

كنت أعرف ذلك منذ اللحظة التى وقعت فيها عيناى عليهـا .

يوچـين : (قابضا على يد الزا) .

أنت التى أبعدتها .

الـزا : لم أفعل قط . انها تخلت عنك يا صغيرى .

(يندفع يوچين نحو الباب . الزا تلتقط الخطاب . ثم تجرى وراءه) .

الـزا : چين ! يوچين ! انتظر !

يوچين :

(يسرع هابطا الشرفة) .

لورا ...

(يتطلع الى الشارع) .

لـنـورا .

(يشير اليه هيو تجاه المحطة ، فيسرع اليها) .

الـــزا : (وهى تدخل ملوحة له بالخطاب) .

انتظر ! انتظر ! لقد تركت لك هذا الخطاب ـ يا چين !

(يستدير يوچين ، ويرى الخطاب) .

لقد تركت لك هذا . اقرأه ، يا صفيرى .

(يتجه يوچين الى الزا ، ثم يتنـــاول الخطـــاب ، ويفتحه ؛ ثم يقرؤه) .

الـــزا : أترى ، لا جدوى من هذا . لا جدوى .

(يوچين يتجه ببطء الى مقعد فى الفناء ثم يجلس. الزا تراقبه . تدخل هيلين عن طريق الباب الأمامى).

هيلـين : هأنتذا هنــا ، يا أماه ! أين كنت ؟ علينا أن نشرع فى اعداد طعام الافطار .

(تستطرد فى الحديث عنـدما تشير اليها الزا بالصمت) .

ماذا حدث ؟

الـــزا : انها مس چيمس . هى ويوچين ...

هيلـين : (تضحك) .

أوه ، يا الهى ، ألم تعرفى هذا يا أماه سوى الآن ؟ ماذا حـــدث ؟

الـــزا : لقد رحلت .

هيلين : مـاذا ؟

الـزا : لقد هجرته .

هيلين : (تتجه الى يوچين) .

أوه ، اذن هذا هو ما حدث ، أليس كذلك ؟ أرحلت فتاتك وتركتك ، يا للسخرية ؟

(تدغدغ أضلاعه بأناملها كى تضحكه . فيستدير . ويلصق ركبتيه) .

لماذا ، يا چين ، لتنس هذا ، فما أنت الا صبى صغير ، وهى امرأة كاملة النضج .

الـزا : ان هيلين على حق . ولماذا ، يا صغيرى ، فأنا لا أدع فتاة كهذه تنال قرة عينى . لقد راحت تخدعك دائما ، توجهك وانت تسير ، أليس كذلك يا هيلين ؟

هيلين : سوف تنساها ، يا چين ، فى مدى أسبوع .

الـزا : طبعا ، سوف تنساها . تبا لك ، لم يكن هذا سوى حب أطفال صغار . وكما يقولون : ما أكثر ما فى الجعبة من صيد ، وما عليك الا أن تلقى بدلوك .

هيلين : لا تبتئس ، فما أنت بالرجل الوحيد الذى خدع فى حيـاته !

هيـو : (من وراء صحيفته) .

قسما بربى ، انها لهى الحقيقة بعينها !

(هيلين والزا يحدجان هيو بنظرتيهما) .

الـزا : ادخلى ، يا هيلين ـ سأكون معك بعد لحظة .

هيلين : أوه ، حسنا ، هيا يا هيو معى لتساعدنى .

السـزا : (تجلس بجوار يوچين . وقد استدار بظهره اليها) .
أتعرف ، يا چين ، ما كنت أفعله لو اننى فى موقفك ؟
كنت أظهر لها أننى ذو روح رياضية عظيمة ، هذا كل
ما هنالك ! وما كنت لأدعها تشعر أن هذا الأمر يؤثر فى
شيئا ما ، أكتب اليها بأقصى ما يرضيك ، وآخذ الأمر
كله من زاويته الساخرة .

يوچين : أوه ، يا الهى ، أرجوك ــ يا أماه ، أن تتركينى وحدى .
أتركينى وحدى .

السـزا : لماذا ، اننى لأخجل أن أدع أية فتاة تكدرنى هكذا .
فعندما تتقدم لك الأيام ، ستستعيد ذكرى هذا الحادث
ثم تضحك . سترى . فسوف لا تذكر شيئا عنه ،
عندما تلتحق بالكلية فى العام المقبل .

(يستدير يوچين ، ثم يتطلع اليها) .

لقد أخبرتك أننى سأقوم ببيع ذلك العقار فى مدينة
ستمبتون ، لقد قمت بذلك. لقد بدأت الفترة الدراسية
هذا العام فعلا ولكن فى العام التالى .

يوچين : الآن ، يا أماه ، الآن ! كفى ما ضاع من وقت !

السـزا : فيم تتحدث عنه ؟ أنت لست الا طفلا صغيرا ، وما زال
هناك الكثير من الوقت ...

يوچين : (ينهض متجولا حولها) .

أماه ، ما هذا يا أماه ؟ ماذا تبغينه منى أكثر من هذا ؟
أتريدين ان تقتلينى خنقا ثم تقذفى بى الى اليم ؟ أتريدين
وثاقا أكثر من هذا تشدين به على عنقى ؟ أم تريدين أن
أجمع لك مزيدا من الزجاجات ! أخبرينى ماذا تريدين !
مزيدا من العقار ؟ أم استحواذا على المدينة بأسرها ؟
أهذا هو ماتبغين ؟

الـــزا : ولماذا ، لست أدرى فيم تتحدث عنه ، أيها الغلام . لولا أننى حاولت أن أجمع لكم شيئا قليلا ، لما كان لأحدكم بيت يستطيع أن يدعى ملكيته .

يوچين : بيت ندعى ملكيته ؟ سبحانك ربى ، وأنا الذى لم يكن لى قط فراش أدعيه لنفسى ؟ أو غرفة أختص بها ؛ أو غطاء أملكه الا وقد انتزعه منى هؤلاء الأوشاب الذين يتخطرون فى هذا الدهليز رواحا وجيئة ثم يجأرون بالشكوى والتأفف .

الـــزا : (تنهض ، باحثة عن مخرج لها) .
لك أن تسخر الآن من النزلاء اذا أردت ...

يوچين : كلا ، فما أنا بمستطيع ذلك . فانى لم أوت من الشجاعة أو القوة ما يمكننى من أن أهزأ بهم كما أريد . فمنذ كنت بهذه القامة وأنت تبعثين بى الى دكان البدال لشراء حاجات البقالة ، تعودت أن أفكر فى أن هذا الطعام ليس من أجلنا ــ انه من أجلهم ! لقد شئت لنا طوال هذه السنين يا أماه أن ننتظر حتى يفرغوا من طعامهم ثم نقتات نحن على فتات موائدهم ــ أتعرفين أثر ذلك فى نفوسنا ــ انه أنت الذى أردنا ــ لقد كنا فى حاجة اليك . لماذا ؟ لماذا ؟

الـــزا : (مرتجفة) .
ان واحدا منهم لا يسىء الى كما يفعل بقيتكم ــ وما كانوا ليتحدثوا الى بهذه الطريقة التى تعودتها منكم ، لسبب بسيط .
(تتجه نحو الباب الجانبى) .

يوچين : لأنهم لا يعبأون بك ــ انهم غرباء . لا يقيمون لك وزنا ! لكنهم سيتناولونك بالحديث من وراء ظهرك ــ لقد سمعتهم يفعلون هذا مرارا .

الـــزا : (تستدير) .
ماذا ؟ ماذا ؟ وماذا عساهم أن يقولوا عنى ؟

يوچـين : وما أهمية ما يقولون عنك ــ انهم يقولون ! وهل يهمك ما أقول ؟

(يأخذها بين ذراعيه ، ثم يطوقها) .

الـــزا : (تأخذ فى البكاء) .
لست أفهم .

يوچـين : (يتركها مبتعدا) .
أوه ، ما أسهل ما تبكين الآن ، يا أماه ، ولكن لا جدوى من ذلك ! لقد أديت لك من العمل والجهد كفاء ما قدمت لى من الأجر ، ولقد أعطيتك بقدر ما أنفقت على من مال . فلا شىء أشكرك عليه .

(يتجه صاعدا الى الشرفة) .

الـــزا : ماهذا ؟ ماذا تقول !

يوچـين : قلت لا شىء أشكرك عليه ، ولكننى أسحب هذا . نعم ، فعندى الوفير مما ينبغى أن أكون شاكرا من اجله . فأنا أشكر لك كل لحظة من لحظات وحدتى الموحشة التى قضيتها هنا ، وكل مباءة قذرة أنعمت بها على لأنام فيها ، وأشكر لك هذه الساعات التى لا عدّ لها والتى لم ألق منك فيها الا كل اهمال ، ثم هاتين الدقيقتين اللتين تزجين لى فيهما نصحا رخيصا .

الـــزا : لسوف تنال عقابك ما دامت فى السماء عدالة .

يوچـين : أوه ، يقينا أن هناك عدالة فى السماء ! وهأنذا قد نلت عقابى . قسما بربى ، لسوف أقضى ما يتبقى من حياتى أسترد فيه قلبى السليب ، حتى تندمل جراحـــه ، ويطوى النسيان كل ندبة تخلفت عن جرح نفسى التى

أدميتنى بها فى طفولتى . لقد كانت خطوتى الأولى التى خطوتها بعد أن تخليت عن المهد هى أن أدب صوب باب البيت . وكانت خطاى بعد ذلك سعيا فى سبيل الفرار . وهأنذا الآن ، قد أصبحت حرا طليقا لا سيطرة لأحدكم على سوف أتخلص من هذه الفوضى وأنظم حياتى شيئا ما . ولسوف أشق طريقى ولو أن ذلك سيكلفنى مزيدا من سنين عديدة ــ وحدى .

السـزا : چين ! چين ! لست براحل ؟

يوچـين : آه ، ألم تلحظى ؟ لقد رحلت فعلا .

(يوچين يخرج الى المنزل ، ويدلف الى غرفة لورا ، حيث ترك حقيبته . ثم يلقى بنفسه فوق السرير ، ويكتم بكاءه . الزا تجلس فوق حافة الشرفة ، مذهولة . جانت يدخل مرتديا قميصا فوق ملابسه الداخلية) .

جانت : أتظنين أنه فى مقدورى الآن تناول طعام الافطار ؟

(الزا لا تجيب) .

حسنا ، هل لى أن أشعل المدفأة ؟

(يذهب الى صندوق خشب المدفأة متذمرا) .

اذا لم يكن فى وسعى أن أنال طعاما أسد به رمقى ، فلا أقل من أن أنال قليلا من الدفء فى هذا الجرن الذى تعبث به الرياح !

(يشرع فى جمع خشب الوقود من الصندوق) .

لسوف أشعل النار فى هذا البيت يوما ــ حسبى أن أكدس كل كتل الخشب بأقصى ما يتسع له هذا الموقد العتيق ــ وكل ما يحتويه من أثاث ــ وكل ساكنيه ذوى الرءوس الصلبة ــ ثم بعض الكيروسين ــ حتى يتقوض

هذا الجرن العتيق عن آخره فيستحيل الى كمية هائلة
من الرماد تذروها الرياح فى السماء ، فيشاهدوا ـ
الغرف الخمس عشرة التعسة ـ محترقة ، كابية ...

الــــزا : لكم أتمنى أن تفعل هذا ، يا مستر جانت . حسبى أن
تفعل هذا .

جانت : أتظنيننى مازحا ؟

الــــزا : كلا ، لا أظن ذلك .

جانت : سأفعل ذلك ، ولكن اذا كنت مخمورا بدرجة كافية .
(تنهض ، مواجهة البيت) .

الــــزا : أنت تستحق هذا ... أيها البيت الدنس النكد .

جانت : لماذا ، يا مس الزا !

الــــزا : سأقوم بهذا بنفسى .

(تهز عمودا عند أول الدرج فى قوة كأنما قد أصابها
مس من الجنون) .

سأدمرك تدميرا ! سأحطمك ، أيها البيت ! سأحطمك !
سأحيلك الى أنقاض متناثرة !

(تلتقط مقعد مسز بيرت الهزاز ، ثم تحطمه) .

هيلين : (تدخل مسرعة) .
هل أصابتك جنة ، يا الزا جانت !

جانت : دعينى أساعدك ، يا مسز جانت !

(يلقى بقطع الخشب ، ثم يشرع فى تحطيم العمود
الآخر) .

لعنة الله عليك ، أيها البيت الخرب الذى سلبنا السعادة .

الــــزا : عليك لعنة الله ، أيها البيت الخرب !

(تركل الألواح الخشبية المتشابكة تحت أسفل
الشرفة) .

هيلين : (تنادى بالداخل) .
هيو ، لتخرج هنا !

ويل : (يدخل من خلف الشرفة) .
يا الهى ، ماذا يفعلان ؟

جانت : (يصيح الى المنزل) .
كلات ـ مانجل ـ براون ـ اخرجوا من أماكنكم ، أيها الجرذان ، أخرجوا جميعكم ـ اخرجوا ـ أخرجوا ـ أينما كنتم !

(يأخذ النزلاء فى العويل والصياح من الداخل) .

النزا : (مقلدة جانت فى عصبية) .
أخرجوا ـ اخرجوا ـ أينما كنتم !

هيو : (وهو يدخل) .
ماذا يحدث ؟

جانت : (وهو يخلع عمود الدرج) .
اننا نحطم هذا الكمين المهلك ، هذا كل ما هنالك . ناولنى هذه البلطة ، يا هيو . انها فى صندوق خشب الوقود .

هيلين : رائع ! رائع !

(يندفع نحو صندوق خشب الوقود ، ثم يخرج بلطة . يدخل النزلاء يهبطون السلم . وقد ارتدى كل منهم بعض ملابسه الداخلية) .

مس براون : استدعى الشرطة .

مسز كلات : هيا بنا الى نزل مسز هاسكيل !

چاك : لقد خرج جانت عن طوره !

جانت : (وهو يطارد النزلاء مهددا) .
فلتنعقوا ، أيها اللاعبين ! اخرجوا ! انجوا بأرواحكم !

النزلاء : (وهم يهربون) .
ان البيت ينهار !
هذا اعصار مدمر !
جمعية السيدات لمنع المسكرات ، يا للهزء !
ألم يستدع أحدكم الشرطة ؟

هيـــو : هاك البلطة ، يا جانت .

جانت : (واثبا ليأخذها) .
أعطنى اياها .

ويــــل : لتكف عن هذا ، يا جانت ، كف عن هذا ! أفقدتم جميعا عقولكم ؟

الــزا : (وهى تقذف النزلاء بأصيص الأزهار) .
فلتذهبوا الى نزل هاسكيل !

هيلــين : أمـــاه !

جانت : (ملوحا بالبلطة الى چاك ومسز كلات عند خروجهما) .
انظرى اليهم وهم يفرون ! ولم يتناولوا افطارهم بعد .
اهربوا أيها الحمقى ذوو البطون الخاوية !

چـــاك : سوف أقاضيك عن هذا ، ياجانت ، سأقاضيك عن هذا !

(يخرج . مسز سنودن تدخل من الباب الأمامى. جانت يدور حولها) .

جانت : فأنت لا تحبين الطعام هنا ؟ أنت لا تحبين القهوة التى تصنعها زوجتى !

(مسز سنودن تجفل مسرعة وهى تصيح) .

الــزا : (ترفع مقعدا وتطوح به نحو النزلاء) .

لماذا ، وهى قهوة لذيذة !

(هيلين تقبض على دراعى الزا ، ثم توقفهما . تفيق الزا الى رشدها فى بطء) .

جانت : انظرى اليهم وهم يفرون ! أوه ، يا مس الزا ، يا لك من امرأة !

(يهبط جانت متجها نحو الزا ، وهو يقهقه ضاحكا ، وهو على وشك أن يعانقها ، فيرى أنها قد استعادت صوابها ولكنه يقرأ على وجهها أثر الصدمة) .

الـزا : ماذا فعلت يا مستر جانت ؟ ماذا فعلت يا مستر جانت؟

جانت : ماذا فعلت ؟ رحماك ربى ، ماذا ف ـ ، يا امرأة !

الـزا : حسبك أن تلقى نظرة على سقط المتاع هذا ! وها قد رحل النزلاء !

هيلـين : لست أدرى ماذا اعتراك يا أبى ! !

جانت : رحماك ربى ! ماذا اعترانى ؟ لم تقف بنفسها هناك و...

الـزا : اذهبى ، يا هيلين ، وعودى بالنزلاء ، أخبريهم أنه كان ثملا ، انتحلى لهم أى عذر ، ولكن عليك اعادتهم !

ويـل : لم أر قط مشهدا كهذا .

الـزا : لتذهب مع هيلين ، يا ويل . أخبرهم أننا نعتذر لهم . انهم سيستجيبون لك . ساعدنى يا هيو فى اعادة هذا المتاع الى نصابه .

(هيلين وويل تخرجان وراء النزلاء) .

جانت : دعيهم يذهبـون ، يا مس الزا . دعى النزلاء يرحلوا !

(تقف الزا مشدودة القامة . جانت ينظر قلقا) .

الـزا : لست أدرى ماذا أصابنى .

جانت : (يغير المكان ، ثم يلقى بالبلطة فى صندوق الخشب)
رحماك ربى !
(يدخل يوچين حاملا حقيبة ملابسه) .

جانت : الى أين أنت ذاهب ؟

يوچين : سأذهب الى مدرسة « تشابل هل » ، يا ابى .

جانت : أتذهب ؟
(ينظر الى الزا) .

يوجين : لقد قطعت أمى على نفسها عهدا باعطائى ما يلزمنى من المال . فلقد قامت ببيع عقارها فى « ستمبتون » .

جانت : أوه ، يالله ، قد لا يكون هذا اليوم على أية حال من الأيام التفسة المشئومة . هل معك شىء من النقود ، يا بنى ؟

يوچين : عندى ما تركه لى بن من نقود . أشكرك ، يا أبى .

جانت : (يخرج نقودا من جيبه ، ثم يدسها فى جيب يوچين) .
حسنا ، فلتذهب يا چين . اذهب فهذه رغبتى ورغبتك . ولا تحيد عن ذلك قيد انملة .

يوچين : لسوف أفعل ، يا أبى . الى اللقاء .

جانت : (وهما يتصافحان) .
الى اللقاء ، يا چين .
(يدلف الى المنزل ، ثم يستدير) .
ستخرج بابنى لتواجه هذا العالم الملىء بالأحزان والكآبة!
(جانت يخرج . الزا تشرع فى التقاط الأنقاض المبعثرة) .

الزا : أكبر الظن أنك قد عقدت العزم فعلا .

يوچين : نعم ، يا أماه ، هذا ما استقر عزمى عليه .

الــزا : حسنا ، سأودع المال الذى تحتاج اليه فى بنك « تشابل هل » . ماذا عسى أن أقول ! انه لشىء غريب حقا . ان الأمر يبدو — برغم هذا — عجيب للغـــاية ، فانك لا تستطيع أن تمكث يوما أو يومين بعد أن ذهب بن وانتهى كل شىء . انه يبدو أنك ستفعل كل ما تستطيع لتفر منى . هذا صحيح ، فأنا أعرف أن هذا ما قر عزمك عليه ، ولست من ذلك بشاكية ! يبـــدو أننى لا أصلح لشىء هنا الا للطهى والحياكة . وهـــذا كل فائدتى لكم ...

يوچـين : أماه ، لا تظنى أنك تستطيعين استغلال هــذه اللحظات الأخيرة للتأثير فى .

الــزا : يبدو كأن نظرى لم يقع عليك الصيف الماضى على طوله .

(تعيد وضع اخشاب الوقود الى الصندوق) .

حسنا ، عندما تصل الى هناك ، عليك بزيارة عمك امرسون وعمتك لوسى . فقد كانت عمتك لوسى تحبك كثيرا عندما كانت هنا . ومن المستحسن كثيرا أن تكون على معرفة بأحد وأنت فى بلد غريب . وبهذه المناسبة ، اخبر عمك امرسون ، عندما تقابله ، ألا يدهش لرؤيتى فى أى وقت من الآن .

(تومىء براسها اليه فى فتحة) .

احسب أننى أستطيع أن أعد عدة الرحيـــل بنفس الطريقة ، وأكون ثانى من يرحل عندما أتخذ الأهبـــة لذلك . فان أنفق كل عمرى لأشقى من أجل حفنة من النزلاء — لا جدوى من وراء هذا . لو أمكننى عقــد صفقتين هنا هذا الخريف ، فقد أشرع فى الرحيـــل لرؤية العالم كما كنت أبغى دائما . لقد كنت أتحدث الى

كاش رانكن فى ذلك اليوم .. فقال لى « لماذا ، يا مسز جانت ، لو كان لي عقلك الذى طبع على المال والأرقام ، لكنت من أصحاب الثراء العريض فى ... » .

(تسترسل فى حديثها . يقف يوچين متطلعا اليها . تمر فترة صمت رهيب ثانية لا ينبسان فيها ببنت شفة . تشير اليه بأصبعها ، وأخيرا تعود الى حركتها القديمة العنيفة اللاشعورية) .

هاك ما سأقوم به . أتعرف قطعة الأرض التى أملكها فى شارع « صان ست تيراسى » التى تقع عند محل « ديك ويبستر » ؟ حسنا ، لقد فكرت فى هذا الأمر . وهو أننى اذا شرعت فى البناء فورا ، فقد نستطيع أن ننتقل الى بيتنا هناك عند حلول الربيع . لقد رحت أفكر فى ذلك كثيرا فى الفترة الأخيرة ...

(فترة صمت أخرى) .

لشد ما أبغض أن أراك تذهب ، يا بنى .

يوچين : الى اللقاء ، يا أماه .

الـزا : فلتحاول أن تكون سعيدا ، يا صغيرى ، حاول أن تكون أكثر سعادة .

(تستدير ، ثم تدلف الى المنزل فى خطا غير متزنة) .

يوچين : أمـاه !

(يلقى بالحقيبة الكبيرة ، ثم يصعد السلم فى قفزة واحدة ، ويمسك بيديها الخشنتين الملتصقتين على جنبيها ، فيجذبهما نحو صدره) .

وداعا ... وداعا ... وداعا ... يا أماه ...

الـزا : (وهى تحضنه) .

يا لطفلى المسكين ... يا لطفلى المسكين ... يا لطفلى المسكين ...

(فى صوت خافت مبحوح) .

علينا أن نحاول ان يحب كل منا الآخر .

(يبتعد يوچين أخيرا عن الزا ، ثم يلتقط الحقيبة. تخفت الأضواء شيئا فشيئا ، ولا يبقى من الضوء الا رقعة عليها . الزا تبدو أنها تتراجع مبتعــدة تماما كما تخفت وتبتعد فى ذاكرته) .

والآن ، بحق السماء ، كن أنيقا ، أيها الغلام ، كن أنيقا . اشدد قامتك ! ابتسم ، كن بشوشا ! دعهم يعرفوا هناك انك ذو مكانة !

(صوت الزا يتضاءل . يســود الظلام المسرح . تسلط الأضواء على يوچين) .

الخاتمــــة

صوت بن : وهكذا سترحل أخيرا ، يا جين ؟

يوجـين : بن ؟ أهذا هو أنت ، يا بن ؟

صوت بن : ومن كنت تظنه ، أيها الأبله الصغير ، أتدرى الى أى شيء أنت ذاهب ، أم أن الأمر لا يعدو مجرد الاستمتاع بركوب القطار ؟

يوجـين : أعرف . أعرف طبعا فيم أنا ذاهب اليــه . فلم يبق هناك ما يدعو الى البقاء . ماذا جرى حقا ، يا بن ؟ كل شيء يولى ويذهب . كل شيء يتغير ويزول . أتستطيع أن تذكر بعض الأشياء التى كنت أفعلها ؟ لقد امحت الوجوه القديمة من صـفحة ذاكرتى ، ونسيت حتى أولئك الذين عاشوا فى ذاكرتى عديدا من السنين . لقد اختلطت وجوههم لدى ، وكأنما ركبت رءوسهم على أبدان غيرهم . بل اننى أنسب كلام الواحـــد منهم للآخر . ثم لا أعى شيئا . ان ثمة شيئا قد افتقــدته ولا أستطيع أن أتذكره .

صوت بن : ان الأشياء التى طواها النسيان والتى تحاول أن تذكرها انما هى عمر الطفولة الذى انقضى من حياتك . لقد ولى ياچين ، كما وليت أنا ورحلت . ولن يعـــود أبدا . لا جدوى من وراء بحثك عنه ، مهما طوفت الآفاق .

يوجـين : اذن فلأبحث عن نهاية للجوع ... عن أرض السعادة !

صوت بن : آه ، ليس ثمة أرض للسعادة ، أو نهاية للجوع .

يوچــين : بن ، فلتساعدنى ، يا بن ! عليك أن تجــد اجابة لهذا التسـاؤل فلتمد لى يد العون ، حتى لا أستمر فى البحث عنهــا .

صوت بن : أيها الأحمق الصغير ، ما الذى تريد معرفته هناك !

يوچــين : أريد أن أجد العالم . أين هو العالم ؟

صوت بن : (يخفت) .

لا مكان للعالم ، يا چين . . . .

يوچــين : بن ، انتظر ، أجبنى !

صوت بن : ان العالم ليس مكانا ، وليس أحدا ، يا چين . عالمك هو أنت .

(يسمع صوت صفير قطار . وتكشف الأضـواء عن نزل ديكسـيلاند وقد طوته ظلمة خافتة . يوچين يخرج دون ينظر الى الوراء) .

ســــتار



هذا الكتاب

كتب توماس وولف عديدا من المسرحيات أهمها مسرحية « بيت الأخلاق » ، و « مرحبا بكم فى مدينتنا » ، وكادت مسرحيته « مرحبا بكم فى مدينتنا » تجد من المشتغلين بالمسرح من يقوم باخراجها عام ١٩٢٣ على أن يعمل فيها قلمه بالبتر والحذف وأن يقلل من عدد شخصياتها المزدحمة لكنه فشل فى ذلك وأدرك أنه آخر من يصلح للكتابة للمسرح .

وبعد أن ذاق مرارة الفشل شرع فى تجربة لون من الكتابة لم يكن قد مارسه من قبل وهو أن يكتب المسرحية فى قالب روائى وكان ذلك فى قصته الى أسماها « الى البيت يا ملاكى » .

وقضى توماس وولف نحبه فى ١٥ من سبتمبر سنة ١٩٣٨ . وبعد انقضاء أكثر من تسعة عشر عاما على وفاته قامت « كيتى فرنجس » بمسرحة قصته « الى البيت يا ملاكى » ، بفضل ما أوتيت من بصيرة منقطعة النظير ومقدرة فنية فى الكتابة المسرحية ، ومثلت هذه المسرحية على مسارح برودواى .

ولو كان « توماس وولف » على قيد الحياة وشاهد قصته بعد أن تحولت الى مسرحية تمثل ، لشعر بالارتياح وهو يرى أن « كيتى فرنجس » احرزت نجاحا كبيرا فى تحقيق ما عجز هو عن القيام به بعد أن استخلصت للمسرح مضمون ما كان عليه أن يقول .





مطبعة مصر شركة ...
سنة ١٩٦٢